كليــة اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميــة

الرياضــة والتنــزه فــي العصــر الأيوبــي بمصــر والشــام
٥٦٧ – ٦٤٨هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠م

إعداد
د. عبدالهادي محمد حمدان سيد
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة بالكلية

(العــدد الأربــعــون)
(إصدار أكتوبر ـ الجزء الثالث)
(١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)

الرياضة والتنزه في العصر الأيوبي بمصر والشام
٥٦٧ – ٦٤٨هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠م

عبدالهادي محمد حمدان سيد
قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ـ أسيوط، مصر.
البريد الإلكتروني: abdelhadysayed.47@azhar.edu.eg

ملخص:
تعددت الدراسات والبحوث التي كتبت عن الدولة الأيوبية في مجالاتها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، إلا أن هذه الدراسات على كثرتها لا تكاد تذكر شيئًا عن الترفيه في هذا العصر، وكأنه خلا من الوسائل الترفيهية، رغم كثرتها وتنوعها، وممارسة مختلف فئات المجتمع لها، فكان هذا البحث وهو بعنوان: (الرياضة والتنزه في العصر الأيوبي بمصر والشام ٥٦٧ – ٦٤٨هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠م) محاولة لإلقاء الضوء على هذا الجانب المهم من تاريخ الدولة الأيوبية؛ رغبة في مزيد من الاستقصاء التاريخي لهذا الجانب، وبيان مدى تأثير حالة الحرب والجهاد على هذا اللون من ألوان الترفيه، وليكون جهدًا متواضعًا في هذا المجال. تتبع الباحث فيه بالدراسة الرياضات البدنية والفكرية المختلفة التي مارسها أبناء المجتمع المصري والشامي بمختلف فئاته، بقصد الترويح عن النفس، والتخفيف من ضغوط الحروب وويلاتها، ولتطوير القدرة العسكرية ؛ لما لبعضها من علاقة مباشرة بفنون الحرب وخططها . وقد بدأه بالحديث عن رياضة الصيد، التي شغف بها سلاطين بني أيوب وأمراؤهم كرياضة بدنية، وعدوها مظهرًا من مظاهر الشجاعة والفروسية، وأفادوا منها ترفيهيًا وحربيًا، وتحدث عن ألعاب الفروسية التي اتخذت أشكالا متعددة منها : سباق الخيل، والمبارزة، واللعب بالرمح، ولعب الكرة، وبيَّن أنها احتلت مكانةً كبيرةً بين الألعاب الرياضية، ومثلت جزءًا مهمًا في حياة السلاطين والأمراء وأبناء الطبقة

العسكرية. كما تناول الرياضات البدنية والذهنية الأخرى التي انتشرت في هذا العصر ومن أهمها: المصارعة، والسباحة، ولعبة الشطرنج، ولعبة النرد، ثم ختم البحث بالحديث عن التنزه والمتنزهات التي ارتادها الناس من أجل قضاء أوقات الفراغ، والاستمتاع بجمال الطبيعة . تناول الباحث كل هذه الجوانب وألقى الضوء عليها، معتمدًا في كل ما أورد على مصادر ومراجع تاريخية وأدبية متنوعة أصيلة وموثوقة .

الكلمات المفتاحية : الرياضة، التنزه، الأيوبي، مصر، الشام، الصيد، المتنزهات.

.

Sports and hiking in the Ayyubid era in Egypt and the Levant 567 – 648 AH / 1171 – 1250 AD

Abdelhady Mohammed Hamdan Sayed
Department Of History and Civilization , Faculty Of Arabic Language , Al-Azhar University , Assiut Branch, Egypt.

Email : *abdelhadysayed.47@azhar.edu.eg*

Abstract

There have been many studies and researches written about the Ayyubid state in its various political, economic, social and cultural fields, but these many studies hardly mention anything about entertainment in this era, as if it were free of recreational means, despite their many and diverse, and the practice of various groups of society, this research, entitled: (Sports and hiking in the Ayyubid era in Egypt and the Levant 567 – 648 AH /1171 – 1250 AD) was an attempt to shed light on this important aspect of the history of the Ayyubid state, in a desire to further historical investigation of this aspect, and to show the extent to which the state of war and jihad affects this type of entertainment, and to be a modest effort. The researcher follows by study the various physical and intellectual sports practiced by the people of the Egyptian and Levantine society in its various categories, with the intention of recreation and alleviating the pressures and scourges of wars, and developing the military capability; because some of them have a direct relationship with arts and plans of war. He began by talking about the sport of hunting, which was loved by the Sultans of Beni Ayoub and their princes as a physical sport, and they considered it a manifestation of courage and equestrianism, and they benefited from it recreationally and for war, and spoke about equestrian games that took many forms, including horse racing, fencing, spear playing and ball play, which occupied a

major place among sports and has been an important part of the lives of sultans, princes and members of the military class. He also addressed other physical and mental sports that have spread in this era, the most important of which are wrestling, swimming, devil's game and dice, and then concluded the search by talking. about hiking and parks that people used to spend their free time enjoying the beauty of nature. The research addressed and highlighted all these aspects, relying on various authentic and reliable historical and literary sources and references.

Keywords : ***Sports , Hiking , Ayyubid , Egypt , Levant , Hunting , Parks***

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وأسبغ على عباده نعمه ظاهرةً وباطنةً، واستخلفهم في أرضه فهم فيها يتنعمون، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته والتابعين. **وبعد**،،

فلا شك أن الترفيه أمر ضروري للإنسان مهما كان موقعه في الحياة حاكمًا كان أو محكومًا، كبيرًا أو صغيرًا، فهو مع اختلاف وسائله يشكل جانبًا مهمًا من حياة الإنسان، ولمَّا كانت الحياة رحلةً شاقةً، محفوفةً بالمتاعب والآلام، لا يسلم الناس فيها في كل وقت وزمان من تجرع لون أو ألوان من غصصها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قول الله ـ عز وجل ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[1]؛ لهذا كان الناس ـ كل الناس ـ في أي وقت وزمان في حاجة إلى الترفيه، الذي يعينهم على تحمل مشاق الحياة وصعابها، ومن أجل تجديد نشاطهم وحيويتهم، وإشباع حاجاتهم ورغباتهم الجسمية والعقلية والنفسية .

وإذا كانت الدولة الأيوبية قد قامت في ظل ظروف سياسية حتَّمت عليها أن تكون دولةً عسكريةً، وقع على حكامها عبء مواجهة الخطر الصليبي الذي هدد المنطقة الإسلامية، ونجح في إقامة كيانات سياسية في بلاد الشام بعد انتصاره على المسلمين في الحملة الصليبية الأولى، الأمر الذي صبغ حياة معظم سلاطينها بطابع الجد والبعد عن سلوك الترف واللهو، والتفرغ لمواجهة العدو الغاصب، وتسخير كل طاقات البلاد المادية والمعنوية من أجل دحره وطرده من الأراضي الإسلامية التي احتلها.

---

(١) سورة البلد آية ٤ .

أقول على الرغم مما ساد هذا العصر من حروب انعكس أثرها ليس على السلاطين والقادة فحسب، بل على المجتمع كله فأصبح مجتمعًا عسكريًا جادًا نتيجة للحالة الجهادية والعسكرية، تلك الحالة التي انعكست أيضا على مؤرخي هذا العصر فاهتموا بسرد الأحداث السياسية والعسكرية، دون الالتفات لمناحي الحياة الأخرى، إلا أن ذلك لم يمنع سلاطين بني أيوب وأبناء المجتمع المصري والشامي من أخذ نصيبهم من الدنيا، والاستمتاع بمباهج الحياة، والميل إلى القيام ببعض ضروب التسلية والترفيه المباحة ؛ بحثًا عن الراحة والمتعة، وتخفيفًا من عناء الحروب وويلاتها، وذلك أن طبيعة البشر وطبيعة المجتمع جعلتا الناس ـ حكاما ومحكومين ـ لا ينسون تمامًا نصيبهم من الدنيا، كما أن السنوات التي حكم فيها سلاطين بني أيوب لم تكن كلها حروبًا، وإنما تخللتها سنوات من السلم عاش الناس فيها حياتهم بصفة طبيعية .

وقد عرفت مصر والشام في العصر الأيوبي أنواعًا مختلفة من وسائل التسلية والترفية، هي في معظمها موروثة من العصور السابقة، مع بعض التغيرات التي أملتها طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية التي مر بها هذا العصر، وهذه الوسائل بعضها كان مختصًا بالحكام والأمراء وذوي النفوذ، وبعضها الآخر شارك فيه العامة وبقية فئات المجتمع، فقد كان السلاطين والأمراء وكثير من فئات المجتمع المصري والشامي لا ينسون أنفسهم يوم أن تضع الحرب أوزارها، ويخمد أوارها، فيعقدون المجالس العلمية الحافلة للتباحث في أمور شرعية، ولغوية، وفقهية، أو يعقدون مجالس أدبية لترويح نفوسهم من مشقات الحياة ومشاغل الدولة، وتلذذا بالاطلاع على آداب العرب وأخبارهم، ويتبارون فيها مع الشعراء والأدباء في مدارسة الشعر ونقده، بل وأحيانًا يحضرون مجالس الغناء فيطربون بتغريد إحدى الجواري المغنيات(١).

(١) يقوم الباحث بإعداد بحث عن المجالس ودورها الثقافي والترفيهي في العصر الأيوبي .

كما شغفوا بممارسة العديد من الرياضات البدنية والذهنية المختلفة، بهدف الترويح عن النفس، والتخفيف من ضغوط الحروب وويلاتها، ولتطوير القدرة العسكرية ؛ لما لبعضها من علاقة مباشرة بفنون الحرب وخططها، فضلا عن غرس بعض القيم كالصبر والشجاعة وتقوية العزيمة في نفوس المقاتلين، ومن هذه الرياضات رياضة الصيد، التي شغف بها سلاطين بني أيوب وأمراؤهم كرياضة بدنية، وعدوها مظهرًا من مظاهر الشجاعة والفروسية، وأفادوا منها ترفيهيًا وحربيًا، فكانوا يخرجون في أوقات الفراغ إلى أماكن الصيد المعتادة في مصر والشام في مواكب حافلة، يبحثون عن الطرائد والوحوش والطيور، وإلي جانب الصيد راجت أيضا ألعاب الفروسية، واحتلت مكانة كبيرة بين الألعاب الرياضية، ومثلت جزءًا هامًا في حياتهم، حيث كانوا يقضون معظم أوقاتهم في ميادين القتال الفعلية أو في التدرب على فنونه، وقد اتخذت ألعاب الفروسية أشكالا متعددة منها : سباق الخيل، والمبارزة، واللعب بالرمح، ولعب الكرة .

وإلى جانب ألعاب الفروسية مارس سلاطين بني أيوب وأبناء المجتمع المصري والشامي رياضات بدنية وذهنية مختلفة، من أهمها : المصارعة، والسباحة، ولعبة الشطرنج، ولعبة النرد، كما كانوا يخرجون إلى أماكن اللهو والنزهة، ويرتادون الحدائق والمتنزهات، طلبًا للمتعة والراحة، والاستمتاع بمناظر الطبيعة وجمالها الساحر، وقضاء أوقات الفراغ بعيدًا عن مصاعب الحياة وهمومها، وغير ذلك مما هو مبسوط على صفحات البحث.

ولما كان العصر الأيوبي قد حظي باهتمام كبير من قبل الباحثين قديمًا وحديثًا، فكتبت العديد من الدراسات والأبحاث والمقالات العلمية عن جوانبه المختلفة السياسية، والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية، إلا أن هذه الدراسات على كثرتها لا تكاد تذكر شيئًا عن الترفيه في هذا العصر إلا نادرًا، وكأنه خلا من الوسائل الترفيهية، رغم كثرتها وتنوعها، وممارسة مختلف فئات المجتمع لها، ومن ثم دعت

الحاجة إلى دراسة هذا الجانب، فكان هذا البحث وهو بعنوان: (الرياضة والتنزه في العصر الأيوبي بمصر والشام ٥٦٧ . ٦٤٨ هـ /١١٧١ . ١٢٥٠م) محاولةً لإلقاء الضوء على جانب مهم من وسائل الترفيه التي انتشرت في هذا العصر؛ رغبة في مزيد من الاستقصاء التاريخي لهذا الضرب من ضروب الترفيه الجاد والهادف، وبيان مدى تأثير حالة الحرب والجهاد في ذيوعه وانتشاره، وليكون جهدًا متواضعًا في هذا المجال، معتمدًا على مصادر ومراجع تاريخية مهمة .

أما عن الإطار الزمني والمكاني المحدد للبحث : فقد تم تحديد الإطار الزمني كما هو واضح من عنوانه بالعصر الأيوبي، وهو يشمل مدة زمنية قصيرة لا تتجاوز الثمانين عامًا (٥٦٧ – ٦٤٨هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠م) وهي مدة لا تعد في تاريخ الأمم ، فضلا عن أنه رغم قصره لم يعرف الهدوء إلا قليلا، وهذا زاد من صعوبة توفر المادة العلمية اللازمة لتغطية جوانب البحث، وهو ما دعا الباحث إلى توسيع الإطار المكاني ليشمل مصر والشام من جانب ؛ ولما كان بين القطرين من وشائج وصلات نتج عنها تشابه بينهما في كثير من الظروف والأحوال من جانب آخر، فمصر والشام كانا يخضعان لحكم واحد في كثير من الأوقات، كما أن كثيرًا من السلاطين الأيوبيين ولدوا في مصر وعاشوا في الشام وكانوا دائمي التنقل بينهما، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالأدباء والعلماء، كما أن الوحدة بين مصر والشام كانت هي الهدف الأكبر والأسمى الذي جاهد من أجله صلاح الدين حتى نجح في تحقيقه بعد جهاد دام لمدة اثنتي عشرة سنة (٥٧٠ . ٥٨٢ هـ / ١١٧٤ . ١٨٦م) فأصبحت هذه الوحدة حقيقة واضحة، وأصبح من العسير التأريخ لمصر وحدها أو الشام وحدها خلال هذا العصر، وإذا كانت هذه الوحدة السياسية قد انفرط عقدها بعد وفاة صلاح الدين في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣م)، وأصبح تاريخ الأيوبيين سلسلة متصلة الحلقات من الصراع بين أفراد أسرته الطامعين في الحكم، فإن هذا الصراع كان على المستوى السياسي، أما جوانب الحياة الأخرى فقد ظلت كما هي،

فكان الناس يعيشون حياتهم بشكل طبيعي، ويتنقلون بين مصر والشام في حرية تامة.

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات المتعلقة بهذا الجانب الحضاري من المصادر الأصلية وتحليلها، ثم مقارنتها مع المصادر الأخرى، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في أربعة مباحث تسبقهم مقدمة، وتتلوهم خاتمة وملاحق، ومذيلة بثبت للمصادر والمراجع، وفهرست لموضوعات البحث .

المقدمة: أوضحت فيها أهمية موضوع البحث، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

المبحث الأول: وعنوانه (رياضة الصيد) وقد خصصته للحديث عن رياضة الصيد، واهتمام سلاطين بني أيوب وأمرائهم بها كضرب من ضروب الترفيه، وكرياضة بدنية تدربوا على إتقانها، ومارسوها على نطاق واسع، كما تحدثت عن اهتمام بعض الوزراء والكتاب بهذه الرياضة، وطرق الصيد وأدواته المختلفة، ثم ختمته بالحديث عن مناظر الصيد على المنتجات الفنية الأيوبية .

أما المبحث الثاني : فقد تناول (ألعاب الفروسية) وقد تعرضت فيه لألعاب الفروسية التي مارسها السلاطين والأمراء ورجال الطبقة العسكرية كضرب من ضروب الترفية والرياضة البدنية، فتحدثت عن سباقات الخيل، والرماية والمبارزة واللعب بالرمح، ورياضة الكرة والصولجان .

وجاء المبحث الثالث: تحت عنوان: (الرياضات والألعاب الأخرى) وقد خصصته للحديث عن الرياضات البدنية والذهنية الأخرى التي عرفها الناس في هذا العصر مثل : المصارعة، والسباحة، ولعبة الشلاق، والشِّطْرَنج والنرد .

أما المبحث الرابع : فكان بعنوان: (التنزه والمتنزهات) وقد تحدثت فيه عن التنزه والخروج إلى المتنزهات كوسيلة من وسائل الترفيه التي أقبل عليها أبناء المجتمع المصري والشامي خلال هذا العصر، فتحدثت عن اهتمام سلاطين بني أيوب بالخروج إلى المتنزهات وأماكن النزهة في مصر والشام، وعن اهتمام الأدباء والعامة في مصر والشام بالخروج إلى المتنزهات وأماكن النزهة، ثم ختمته بالحديث عن أماكن النزهة التي ارتادها السلاطين والأمراء والعامة في مصر والشام .

الخاتمة : وقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

والله أسأل أن يمدني بتوفيقه في عرضي لجوانب هذا الموضوع، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله نافعًا مقبولًا، وأن يتجاوز عما فيه من الخطأ أو التقصير، إنه ـ تعالى ـ سميع مجيب، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . عبدالهادي محمد حمدان سيد

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط

المبحث الأول

رياضة الصيد

مارس سلاطين بني أيوب وأبناء الطبقة العسكرية رياضات بدنية وفكرية مختلفة، بهدف الترويح عن النفس، والتخفيف من ضغوط الحروب وويلاتها، ومن أهم هذه الرياضات :

- **رياضة الصيد** :

الصيد رياضة قديمة عرفها الإنسان ومارسها من قديم الزمان، باحثًا عن طعامه، أو راغبًا في الرياضة والمتعة، وهو من الرياضات النافعة التي أباحها الإسلام، سواء كان يمارس عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور وغيرها، أو عن طريق الآلة كالسهام والرماح، قال تعالى: ﴿.... أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ... ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ...﴾[2].

وقد كانت حاجة الإنسان إلى الغذاء هي الدافع الأول للصيد، ومع التطور الحضاري في الدولة الإسلامية ارتقى الصيد فأصبح ترفًا ومتعةً ورياضةً، وفي العصر الأيوبي أصبح الصيد رياضة محببة إلى نفوس كثير من سلاطين بني أيوب وأمرائهم، ووسيلة من وسائل الترفيه التي اهتموا بها، ومارسوها على نطاق واسع، فشغف الكثير منهم بها كرياضة بدنية، تدربوا منذ صغرهم على إتقانها، وعدُّوها مظهرًا من مظاهر الشجاعة والفروسية، وأفادوا منها ترفيهيًا وحربيًا، فإلى جانب كون

(١) سورة المائدة من الآية ٤ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٩٦ .

الصيد وسيلة ترفيهية ابتغي من ممارستها قضاء أوقاتٍ سعيدةٍ، كان أيضا من فنون الفروسية التي تساعد الفارس على اكتساب السرعة وخفة الحركة، وإتقان أساليب الركض والكر والفر، والمهارة والدقة في إصابة الهدف، والتدرب على مواجهة الأعداء، وهذا مما تقتضيه حياتهم التي شغلت الحرب وفنونها جانبًا كبيرًا منها، وفضلا عن هذا فإن في ممارسة الصيد تمرين الخيل بالطرد، واختبارا لها ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض [١] .

ـ صلاح الدين ورياضة الصيد :

على الرغم من أن صلاح الدين كان قائدًا عسكريًا نذر حياته للجهاد، وأمضاها على صهوة جواده، مكرسًا جهوده لصد العدوان الصليبي على الممتلكات والأعراض، ومع هذا لم تشغله الحروب المشتعلة بينه وبين الصليبيين، كذلك لم تشغله مشاغل الحكم وهمومه عن الاهتمام بالصيد، فخصص له شطرًا من حياته، وانصرف إليه في وقت فراغه، طلبًا للمتعة والراحة، واستجمامًا للنفس وإذهابًا لهمومها حتى يرجع إليها نشاطها وتقوى على مواصلة القتال، فقد كان لهجًا به شابًا وكهلا، حاذقًا لفنونه، ولم يكتف بممارسته وحده، وإنما سعى إلى تعليمه غيره، ولا غرابة في عناية صلاح الدين برياضة الصيد مع كثرة اهتمامه بأمور الحرب والجهاد ؛ لأن هذا العصر كان كما يذكر أحد الباحثين[٢] عصر فروسية وصيد، ويبالغ الدكتور/ نظير سعداوي في بيان تأثير رياضة الصيد على شخصية صلاح الدين القيادية فيقول : " وهذه الرياضة ذاتها هي التي مكنت صلاح الدين أن يكون صبورًا، فاهمًا لأخلاق العسكر، قادرًا على قيادتهم في السلم والحرب" [٣].

---

(١) ابن طبا طبا: الفخري في الآداب السلطانية ص ٥٤، ابن منكلي: أنس الملاح بوحش الفلا، نشر فلوريان فرعون، مطابع باريس ١٨٨٠م، ص ١٩ .

(٢)عبد العزيز سيد الأهل: أيام صلاح الدين، سلسلة التعريف بالإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، الكتاب العاشر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م، ص ٣٧ .

(٣) جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦م، ص ١٠٤.

مارس صلاح الدين الصيد في كل أوقات فراغه لاسيما أوقات الهدنة والسلم، وخرج من أجله إلى العديد من أماكن الصيد في مصر والشام، ففي سنة ٥٧١ هـ/١١٧٥م عقد صلاح الدين هدنة مع الصليبيين، وأذن لجيشه بالعودة إلى مصر لجدب الشام، وأقام بدمشق في طائفة يسيرة من الجند، وأثناء إقامته بها حرص على الجلوس في دار العدل لكشف المظالم، وعلى الخروج للصيد، ومدحه العماد الكاتب بقصيدة منها:

سواك لسهم العلا لن يريشا فنسألُ ربَّ العلا أن تعيشا

من الناس بالبِرِّ صِدْتَ الكِرامَ وبالبأسِ في االبَّرِ صِدْتَ الوحوشا [١]

وبعد أن غادر الشام وعاد إلى مصر في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٧م ليتفقد أحوالها، لم تشغله أعماله التي قام بها خلال فترة إقامته عن الخروج في رحلات الصيد، وتكرر خروجه مع حاشيته وأعوانه إلى بعض أماكن الصيد المعتادة، فخرج في ذي الحجة من نفس العام إلى فاقوس [٢] حيث الصحارى الواسعة، والبراري الشاسعة التي تعج بالعديد من الحيوانات البرية والطيور، وأقام بها فترة طويلة للصيد والقنص[٣].

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٣٨٩ .

(٢) فاقوس: مدينة على حدود مصر الشرقية، في آخر ديار مصر من جهة الشام، وهي الآن إحدى مراكز محافظة الشرقية . ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج ٤، ص ٢٣٢، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م، ق٢، ج ١ ص ١١٦، ١١٧.

(٣) البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩م، ص ١٢٤، ١٢٥.

والجدير بالذكر أن خروجه في هذه السرحات لم يكن بقصد الترفيه، وطلب الراحة والمتعة، وتزجية أوقات الفراغ فقط، وإنما كان يقصد بخروجه إرهاب أعدائه من الصليبيين، والوقوف على أخبارهم، ومعرفة خططهم، وانتهاز الفرص لمهاجمتهم(١) .

وعندما عاد إلى الشام في سنة ٥٧٣ هـ/١١٧٨م لمجابهة الصليبيين، وأقام في دمشق لجمع الجنود وحشد القوات، انتهز فرصة وجوده بها للخروج إلى الصيد، فخرج منها في ذي الحجة متوجهًا نحو قارا (٢) وخيَّم بها للصيد، ورافقه ابن أخيه عز الدين فرُخشاه (٣)، وكاتبه العماد الأصفهاني، غير أن عز الدين عاد مبكرًا لحمى أصابته، وعاد معه العماد(٤) .

ولم يترك صلاح الدين ـ رغم انشغاله بأمور الجهاد والحكم ـ فرصة دون ممارسة الصيد، فعندما خرج في سنة ٥٧٤ هـ /١١٧٨م إلى بعلبك لأخذها من شمس الدين

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣،ج٢ ص ٥٧، أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص ٤٥٢ .

(٢) قارا: قرية كبيرة جنوبي حمص في منتصف الطريق بينها وبين دمشق، وهي المنزل الأول للقوافل المتجهة من حمص إلى دمشق. ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٢٩٥، أبو الفدا: تقويم البلدان، تصحيح: رينود، والبارون ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٥٠ م، ص ٢٢٩ .

(٣) فرخشاه: هو عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، كان شاعرًا فصيحًا، يكثر من مخالطة أهل الفضل والعلم، ويحاضرهم ويسامرهم، وله شعر جيد، كان صلاح الدين يثق فيه، ويعتمد عليه في كثير من أموره، استنابه بدمشق، وأنعم عليه ببعلبك في سنة ٥٧٥هـ، توفي بدمشق سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م . العماد: خريدة القصر (بداية قسم شعراء الشام) تحقيق: شكري فيصل، دمشق ١٩٦٨م، ص ١١٣. ١٣٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، بيروت ٢٠٠٣م، ج١٠ ص ١١٨.

(٤) البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٤٤، أبو شامة: الروضتين ج ٢ ص٤٨٠، العيني: عقد الجمان (العصر الأيوبي) تحقيق: محمود رزق محمود ، دار الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠١٠ م، ج١ ص٢٦٣ .

بن المقدم [١] . وكان قد عصى عليه . وضرب عليها الحصار وطالت إقامته أمامها لعدة أشهر، كان يقتنص أوقات فراغه في ممارسة هوايته المحببة الصيد، فكان يركب كل صباح للصيد والطرد، طلبا للمتعة والراحة، واستجماما للنفس وإذهابا لهمومها حتى يرجع إليها نشاطها فتقوى على مواصلة القتال، ويصف العماد الأصفهاني شغفه بالصيد خلال هذه الفترة بقوله: " وللسلطان في كل بكور ركوب للصيد، وله طرايد وطرايح، فما ألذها شتوةً وأهنأها نوبةً، لم نر لها نبوةً، لكأنه كانت غفوةً لم تذكر للدهر " [٢] .

والجدير بالذكر أن صلاح الدين كان في بعض الأحيان يستخدم الخروج للصيد كغطاء لتنفيذ بعض الحملات العسكرية الخاطفة، وتدمير محاصيل الأراضي الزراعية في الممتلكات الصليبية، ومن ذلك ما حدث في سنة ٥٧٤هـ /١١٧٨م عندما خرج بقواته إلى بانياس [٣] وخيَّم عند تل القاضي في سهل مرجعيون غربي بانياس، فكان يركب كل يوم في موكب ويظهر أنه خارج للصيد، فينزل عند نهر بانياس، ويرسل السرايا وقبائل العرب للإغارة على الأراضي الزراعية الواقعة بين صيدا وبيروت، وحصد غلاتها، ويقيم في مكانه حتى يرجعوا بجمالهم موثقةً بأحمالها [٤] .

وحتى في الأوقات القليلة التي كان يعود فيها إلى مصر للنظر في شئونها، والقيام ببعض الإنشاءات والتحصينات الدفاعية لتقوية الجبهة الداخلية فيها، لم يكن يترك

(١) فتح صلاح الدين بعلبك في سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م، وأقطعها لابن المقدم مكافأة له عل تسليمه إياه دمشق، وألح تورانشاه في طلبها من أخيه، فأمر صلاح الدين ابن المقدم بالنزول عنها، فأبى واعتصم بها، فقصده في سنة ٥٧٤هـ، وحاصره بها حتى سلمها، وأعطاه عوضا عنها حصن بعرين وأعماله، وكفر طاب، وقرى من بلد المعرة . البنداري: سنا البرق الشامي ص١٤٩، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين) تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٦٢م، ج٢ص٤٨ .

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١٥٧ .

(٣) بانياس: بلدة صغيرة من أعمال دمشق في الجنوب الغربي منها . أبو الفدا: تقويم البلدان ص٢٤٩.

(٤) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١٦٣، ١٦٤، أبو شامة: الروضتين ج ٣، ص ٢٦،٢٧ .

الاهتمام بالصيد والخروج في سرحاته ، فعندما عاد إليها في سنة ٥٧٧ هـ /١١٨١م كان ينتهز أوقات فراغه ويخرج في مواكب مع حاشيته وخواصه إلى بركة الجب[١] خارج القاهرة، ويقيم فيها أيامًا للصيد ولعب الكرة [٢]، ويبدو أنه تردد إليها كثيرًا خلال فترة إقامته بمصر، بدليل تعليق المقريزي على ما نقله عن القاضي الفاضل من خبر خروجه إليها في شهر المحرم سنة ٥٧٧هـ، وإقامته بها ستة أيام للصيد ولعب الكرة بقوله : " وذكر من ذلك كثيرًا عن السلطان صلاح الدين "[٣] .

وعندما خرج في سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م من دمشق لمواجهة الصليبيين، واتجه ناحية بعلبك ضرب خيامه على بعد فرسخين من دمشق، استعدادا لحشد قواته، واستغل فترة الحشد وتجميع القوات في ممارسة هوايته المحببة إلى نفسه، فكان يركب كل يوم لصيده وقنصه وانتهاز فرصه، وأقام في مخيمه أيامًا حتى أتم حشوده فخرج للغزو [٤].

وبعد عودته إلي دمشق في سنة ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦م، لم يركن إلى الراحة والدعة، وإنما استغل أوقات فراغه ـ بعد شفائه من مرض أصابه ـ في الخروج مع خواصه

(١) بركة الجب: كانت في الجهة الشمالية من القاهرة، عرفت أولا بجب عميرة، ثم قيل لها أرض الجب، وسميت في العصر المملوكي باسم بركة الحاج لنزول الحجاج المسافرين برًا بها عند مسيرهم من القاهرة، ونزولهم بها عند العودة، وهي الآن تتبع المطرية، وكانت قبل ذلك إحدى قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية . المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط) تحقيق: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٨م، ج ٢، ص٣٤٥، ٧٥٢، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق٢، ج١، ص٣١ .

(٢) المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٧٥٣، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٦م، ج١، ق١، ص٧١، ٧٢ .

(٣) الخطط ج٢ ص ٧٥٣ .

(٤) البنداري: سنا البرق الشامي ص ٢٥٢، ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦٨ م، ص٢٠٠ .

ومماليكه للصيد والقنص، والانتهاز لبوادر الفرص، فكان يركب في مواكب مع حاشيته ومماليكه ويخرج إلى مرج راهط [١] للصيد والقنص بالطيورالجوارح [٢].

والحقيقة أن حب صلاح الدين لرياضة الصيد قد استولى على قلبه وسائر جوانحه، ولم يكن يتفوق عليه سوى حبه للجهاد واهتمامه به، ولعل حبه للجهاد واهتمامه به كان له أثره في تعلقه بالصيد وغرامه به، فهو لم يكن يمارسه بقصد اللهو واللعب، وإنما كان يراه جزءًا من نشاطه الجهاديّ، وتدريبًا للخيل على الكَرِّ والفَرِّ، وفنًا من فنون الفروسية التي تساعد على اكتساب السرعة وخفة الحركة، وإتقان أساليب الركض والكر والفر، والمهارة والدقة في إصابة الهدف، والتدرب على مواجهة الأعداء، وهذا ما تقتضيه حياته التي قضى معظمها على صهوة جواده في ساحات القتال .

ولم يترك صلاح الدين الاهتمام بالصيد حتى في أصعب أوقات حياته، ففي أثناء انشغاله بالقتال مع الصليبيين أمام أسوار عكا، كان يركب أحيانًا للصيد ؛ طلبًا للراحة من حمل السلاح ومشقات القتال، واستجمامًا للنفس وإذهابًا لهمومها حتى يرجع إليها نشاطها وتقوى على مواصلة القتال، فكان يركب للصيد بالبزاة [٣] في أوقات فراغه، ثم يعود للقتال، ولا يفعل هذا إلا بعد أن يأخذ احتياطاته من مفاجأة العدو له، لكن على الرغم من هذا كان معسكره يتعرض في بعض الأوقات للهجوم من قبل

(١) مرج راهط: موضع في الجانب الشرقي من غوطة دمشق بعد مرج عذراء، كانت به وقعة مشهورة بين القيسية واليمانية في سنة ٦٤ هـ، كانت الغلبة فيها لمروان بن الحكم واليمانية . ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٢١ .

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٨٦، أبو شامة: الروضتين ج ٣، ص ٢٦٨، ٢٦٩ .

(٣) البزاة: جمع باز من جوارح الطيور، والبازي نوع من الصقور الصغيرة، وهو خمسة أنواع: البازي، والباشق، والبَيْدق، والزُّرَّق، والعفصي، وهو خفيف الجناح، سريع الطيران.الدميري: حياة الحيوان الكبرى تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠٥ م، ج١، ص ٣٦٥ . ٣٦٨ .

الصليبيين بعد خروجه للصيد، ومن ذلك ما حدث في سنة ٥٨٦ هـ /١١٩٠م عندما خرج للصيد بالبزاة على جاري عادته فتصيد، وهو مطمئن النفس ببعد مكانه عن العدو، وطاب له القنص فأوغل في الصيد وأبعد، وبلغ ذلك العدو فأغاروا على معسكره، فتصدى لهم الملك العادل الأيوبي وردهم على أعقابهم، وعلم صلاح الدين فعاد مسرعًا، فوجدهم قد عادوا خائبين(١).

وبعد أن عقد صلاح الدين هدنة الرملة مع ريتشارد ملك إنجلترا في شعبان سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م، قام بجولة سريعة تفقد فيها مدن الساحل الشامي، ثم عاد إلى دمشق . وقد كان يحبها ويؤثر الإقامة فيها على سائر البلاد .(٢)، وبعد أن نظر في أحوالها وأقام بها أياما، لم تعجبه حياة الدعة والسكون، وسكنى القصور(٣)، وهو الذي ألف حياة الحرب والجهاد، وألف العيش في ظل خيمة تضربها الريح يمنة ويسرة (٤)، وقضى معظم حياته فوق صهوة جواده حتى وصف بأنه كان " لا يأوي لراحة، ولا يخلد إلى دعة، سرجه هو مجلسه " (٥)، فخرج من دمشق لممارسة هوايته المحببة ورياضته الأثيرة الصيد، واتجه إلى غباغب(٦) حيث

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤م، ص ١٧٩، العماد: الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٩٢، أبو شامة: الروضتين، ج ٤، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٣٥٦ .

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٣٢٦ .

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٥٣.

(٥) ابن جبير: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار والمناسك المعروف بـ (رحلة ابن جبير)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١ م، ص ٢٤٣، وسيشار إليه لاحقا بـ(رحلة ابن جبير).

(٦) غباغب: قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق في الجنوب منها، بينهما ستة فراسخ. ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص١٨٤.

تكثر الغزلان، وأقام يتصيد حولها حتى وصل إلى الكسوة [١] فلقيه الملك العادل، فأقاما يتصيدان، وكان دخولهما إلى دمشق آخر نهار يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة سنة ٥٨٨هـ[٢].

قضى صلاح الدين الأيام الأخيرة من حياته في دمشق بين أولاده وأخيه العادل يتنزهون في مرابعها، ويخرجون إلى الأماكن المجاورة لها للصيد والقنص[٣]، ويصف العماد الأصفهاني شغفه بالصيد خلال هذه الفترة بقوله :" والسلطان مشغول بالصيد والقنص، منتهز من العمر للفرص، مبتز بالبزاة والصقور حشاشات الوحوش والطيور بكل جار جارح، وطائر طارح، يدني أجل الحجل وحمام الحمام، كأنه غريم لها لا هي الغرام" [٤].

وكان آخر رحلاته التي خرج فيها للصيد في المحرم من سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م، خرج بصحبة أخيه العادل وبعض مماليكه إلى شرقي دمشق للصيد وتزجية أوقات فراغه، وحرَّض أولاده ومماليكه على الخروج معه، ولام من لم يوافقه و" أبعد في البرية، وطابت له الفرص، ووافق مراده القَنَص " ثم عاد إلى دمشق وتوفي بها في السابع والعشرين من صفر[٥].

---

(١) الكسوة: قرية خارج دمشق، وهي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. ياقوت: معجم البلدان ج٤، ص٤٦١ .

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ٣٥٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٤م، ج ٧، ص٢٠١، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق: حسن الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة ١٩٦٩ م، ٤، ج ٢، ص٩٢

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٣٥٧، أبو شامة: الروضتين، ج ٤، ص٣٤٥ .

(٤) العماد: الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٣٢٤ .

(٥) العماد: الفتح القسي ص ٣٢٦، أبو شامة: الروضتين، ج ٤، ص ٣٥٧، ٤١١، أبو الفدا: الفدا: المختصر في أخبار، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩ م، ج ٣، ص١٠٧، ١٠٨.

ويتضح لنا من خلال هذا العرض مدى عناية صلاح الدين برياضة الصيد وشغفه بها، وأنها مثلت جانبًا مشرقًا من حياته، وهو جانب مهم جدير بالتسجيل قد أغفلت المصادر التي أرخت له الحديث عنه باستفاضة، واكتفت بالإشارات المقتضبة والعابرة .

ـ خلفاء صلاح الدين ورياضة الصيد:

لم يكن صلاح الدين هو الوحيد الذي شغف بالصيد من سلاطين بني أيوب، وإنما شاركه حبه للصيد الكثير منهم، فقد كان ابنه العزيز عثمان[١] سلطان مصر(٥٨٩ . ٥٩٥ هـ/١١٩٣ـ ١١٩٩م) محبًا للصيد ولعًا به، وقد دفعه حبه للصيد إلى الخروج لممارسته في العديد من أماكن الصيد في مصر، فكان يتردد كثيرًا إلى بركة الجب للصيد ولعب الكرة [٢]، ويخرج في مواكب إلى الجيزة للصيد . وكانت مكانا مفضلا له . خرج إليها في المحرم من سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م، وقضى في صحرائها عدة أسابيع وهو يتصيد[٣]، كما كان يذهب إلى الفيوم للصيد[٤].

والجدير بالذكر أنه دفع حياته ثمنًا لتعلقه برياضة الصيد، ذكرت المصادر المعاصرة أنه خرج في ذي الحجة سنة ٥٩٤هـ /١١٩٨م في سرحة صيد إلى

(١) العزيز عثمان: هو أبو الفتح عثمان بن يوسف بن أيوب بن شادي، ولد بالقاهرة سنة ٥٦٧هـ، وسمع الحديث من الحافظ السلفي، وأبي الطاهر بن عوف، تولى حكم مصر نيابة عن أبيه، واستقل بحكمها بعد وفاته سنة ٥٨٩ هـ، كان جوادًا سمحًا، رفيقا بالرعية حليمًا، توفي سنة ٥٩٥ هـ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الرسالة العالمية، دمشق ٢٠١٣ م، ج ٢٢، ص ٦٨، ٦٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص٢٥١ . ٢٥٣.

(٢) المقريزي: الخطط، ج ٢، ص٧٥٣ .

(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٢٠، ١٢١ .

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٥٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص٢٥١ .

الفيوم، فلاح له ظبي، فركض بفرسه خلفه فكبا به الفرس، فدخل قربوس السرج في صدره، ثم أصيب بالحمى، وحمل إلى القاهرة مريضًا، فتوفي في المحرم سنة ٥٩٥هـ[١].

وكان الظاهر غازي [٢] سلطان حلب (٥٨٢ . ٦١٣هـ / ١١٨٦ . ١٢١٦م) مثل والده مهتما بالصيد، يخرج لممارسته في أوقات فراغه في ضواحي حلب والمناطق المجاورة لها، بقصد الترفيه والمتعة، وقد ذكر ابن نظيف الحموي أن من أسباب موته مع فراغ أجله أنه أكل لحمًا مقددًا بعدس وهو في الصيد، وشرب عليه خمرًا [٣].

أما الملك العادل الأيوبي (ت ٦١٥ هـ / ١٢١٩ م) فكان يخرج في سرحات للصيد بصحبة أولاده ومماليكه، ومن طريف ما يروى عنه أنه خرج يومًا إلى الصيد ومعه أولاده ومن بينهم ابنه الملك الأوحد نجم الدين، وكان قصيرا ألثغ دميمًا، فأرسل والده بازًا على طائر، فسقط الباز على رأس الأوحد، فضحك العادل وقال : " قد صاد بازيُّنا اليوم بومة ! " فتألم الأوحد من ذلك، وكان هذا الباز قد أهداه أمير خلاط[٤] للملك العادل، فلما فتح الأوحد مدينة خلاط في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م بمكاتبة أهلها له، وخطب له بشاه أرمن على قاعدة ملوكها، كتب إلى أبيه يبشره بالفتح ويقول له : " إن

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠ ص ٢٥٥، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ٦٨، ٦٩، الحنبلي: شفاء القلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٩٤.

(٢) الظاهر غازي: هو أبو منصور غازي بن يوسف بن أيوب بن شادي، ولد بالقاهرة سنة ٥٦٨ هـ، وسمع بالإسكندرية من أبي الطاهر بن عوف، وحضر معظم غزوات والده ولاه أبوه حلب سنة ٥٨٢هـ بعد أن أخذها من عمه العادل، كان ملكًا مهيبًا، حازمًا عادلا، محبًا للعلماء، توفي بقلعة حلب سنة ٦١٣ هـ . أبو شامة: ذيل الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) نشر: السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٤، ص ٩٤، ٩٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦ . ٩ .

(٣) التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) تحقيق: أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق ١٩٨١ م، ص ٧٢، وسيشار إليه لاحقا بالتاريخ المنصوري .

(٤) خلاط: بلدة مشهورة، هي قصبة أرمينية الوسطى . ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص٢٨٠، ٢٨١ .

البومة التي صادها بازي مولانا السلطان في اليوم الفلاني، قد اصطادت مدينة خلاط وصارت شاه أرمن، وإنما كان الباز من صاحب خلاط، فبشر المملوك بأن يكون ملكها!"[١].

وكان المعظم عيسى[٢] سلطان دمشق (٦١٥ . ٦٢٤ هـ /١٢١٨ . ١٢٢٧م) إلى جانب اهتماماته العلمية المتعددة محبًا للصيد، يخرج مع أخيه الأشرف موسى (ت ٦٣٥هـ /١٢٣٧ م) في سرحات إلى مناطق الصيد المعتادة في بلاد الشام في أوقات فراغهما، طلبا للراحة والمتعة، خرجا معا في سنة ٦٢٣ هـ /١٢٢٦م بعد انقضاء شهر رمضان إلى منطقة القريتين من بلد حمص متنزهين ومتصيدين [٣]، وتكرر خروجهما في سنة ٦٢٤ هـ إلى الغَوْر [٤] للصيد والنزهة [٥] .

ومن الجدير بالذكر أن الأشرف موسى عندما كان يخرج إلى الصيد، كان يخرج في موكب ضخم مع حاشيته ومماليكه وهم على خيولهم، ومعهم عدة الصيد

(١) ابن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧ (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٧٢ م، ص ١٦١، النويري: نهاية الأرب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٤ م، ج٢٩، ص٢٧ .

(٢) المعظم عيسى: هو شرف الدين عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ، ونشأ بالشام، قرأ القرآن، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، كان عالما بعدة علوم فاضلا فيها، وهو رجل بني أيوب وعالمهم، كان عالي الهمة شجاعًا مقدامًا، كثير الحياء متواضعا، ولي دمشق وتوابعها في حياة أبيه وبعد وفاته، توفي بدمشق سنة ٦٢٤ هـ . ابن الأثير: الكامل، ج١، ص ٤٧٢، ٤٧٣، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢٢، ص ٢٨٥ . ٢٩٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٩٤ . ٤٩٦ .

(٣) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص١٢٧،ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص١٨٠ .

(٤) الغَوْر: وجمعه أغوار هو المنخفض من الأرض، والمقصود به غَوْر الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، وفيه نهر الأردن، وبه بلاد وقرى كثيرة، وأشهر بلاده بيسان . ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص٢١٧ . ٢٦ .

(٥) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ١٣٦ .

وأدواته من قسي البندق[١]، والطيور الجوارح من البزاة، والكلاب المدربة وغيرها، وفي بعض الأحيان كان يرافقهم بعض الأدباء الذين اهتموا بتسجيل ما كان يحدث أثناء هذه الرحلات، ووصفوا الحيوانات والطيور، وأدوات الصيد التي كانت تستخدم[٢].

وشغف العزيز محمد بن الظاهر غازي[٣] سلطان حلب (٦١٣ . ٦٣٤ هـ /١٢١٦ . ١٢٣٦م) بالصيد وأحبه، فكان يركب في مواكب مع مماليكه إلى

(١) قسي البندق: وتسمى الجُلَاهِق أو قوس البندق، وهو قوس يتخذ من القنا ويلف عليه الحرير ويغرى، وفي وسط وتره قطعة مستديرة تسمى الجوزة، يوضع فيها البندق عند الرمي، والبندق كرات صغيرة تصنع من الطين ترمى بهذا القوس .القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢م، ج٢، ص١٣٨.

(٢) وقد أشار إلى هذا ابن النبيه المصري في معرض مدحه للأشرف موسى بقوله:

بـرَزْنَا إلـى اللـهوِ فـي حـلبةٍ ... حِسانِ الـوُجُوهِ خِـفَافِ الـمضاربْ
بَنَادِقُـهمْ فـي عُـيُونِ الـقِسِيِّ ... كَأَحْـدَاقِهِمْ تَـحْتَ قَـوْسِ الحَوَاجِبْ
وَحَلَّتْ سَوَابِقُ شُـهْبٍ خَوَاطف ... حُـجنُ الـمناسِرِ حـوِّ المخَالِـبْ
بُـــزاةٌ لـهـا حَـدَقُ الأفـعـوان ... وَأظْـفَـارُهـا كـحُـمـات الـعـقـاربْ

ديوان ابن النبيه، ص ١٩٠، ١٩١، العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٠ م، ج ١٨، ص١٣٠، ١٣١ .

(٣) العزيز محمد: هو غياث الدين محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، ولد سنة ٦٠٩هـ، تولى حكم حلب في سنة ٦١٣ هـ بعد وفاة أبيه وهو طفل لم يتجاوز الرابعة من عمره، فتولى الوصاية عليه شهاب الدين طغريل، وساس الأمور أحسن سياسة، ثم استقل بالحكم في سنة ٦٢٩هـ، توفي سنة ٦٣٤ هـ وهو شاب لم يبلغ أربعًا وعشرين سنة . ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥ ، ص ١١٦، ١١٧، ابن تغري بردي: النجوم في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣ م، ج ٦ ص ٢٩٧ .

نواحي العمق [١] وغيرها من المناطق التابعة لحلب للصيد ورمي البندق في أوقات فراغه[٢]، ويطول بنا الحديث لو تتبعنا أخبار خروجه إلي الصيد كما وردت في المصادر، ويكفى أن نذكر أنه خرج في سنة ٦٣٠هـ /١٢٣٢م إلى حارم [٣] للصيد ورمي البندق، وفي طريقه إليها مر بقلعة شيزر[٤] فلم يحتفل به حاكمها، وأرسل له إقامة اشتملت على شيء قليل من الشعير، فغضب العزيز من ذلك، وقرر أخذ شيزر منه[٥]، وهذا الخبر يدل على أن العادة جرت بأن يقوم حكام الولايات بتقديم تقادم وهديا تليق بالسلطان عند مروره بهم أثنا خروجه للصيد .

ومن الجدير بالذكر أن العزيز محمد توفي وهو في عنفوان شبابه، وكان سبب وفاته كما ذكرت المصادر المعاصرة [٦] أنه خرج في سنة ٦٣٤ هـ في رحلة صيد إلى مدينة حارم، وبعد أن فرغ من الصيد ورمي البندق اغتسل بماء بارد فَحُمَّ، ثم عاد إلى حلب فتوفي بها في سنة ٦٣٤ هـ .

(١) العمق: كورة من نواحي حلب . ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص١٥٦ .

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج٥، ص١٠، ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٦م، ص٤٧٩، ٤٨٠ .

(٣) حارم: بلدة صغير ذات قلعة وأشجار وأعين ونهر صغير، من أعمال حلب إلى الغرب منها على بعد مرحلتين . أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

(٤) شيزر: بلدة ذات قلعة حصينة على نهر العاصي، في الجهة الغربية من حلب على نحو ثلاث مراحل منها . ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٣، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٦٢، ٢٦٣ .

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب، ص٤٨٠، ٤٨١، ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص ٦٤ . ٦٦، اليونيني: ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، الهند ١٩٥٤ م، ج ٢، ص ١٣٥ .

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ص ٤٨٥، ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص١١٥ .

كما عرف عن الكامل محمد سلطان مصر (٦١٥- ٦٣٥هـ/ ٢١٨- ١٢٣٨م) حبه للصيد وشغفه به، وقد خرج من أجل ممارسته إلى العديد من أماكن الصيد في مصر، وإلى جانب هذا اعتاد الخروج في أوقات فراغه إلى العباسة [١] للصيد والنزهة، وفي بعض الأحيان كان يرافقه في الذهاب إليها بعض الأدباء (٢)، وقد امتازت العباسة دون غيرها من أماكن الصيد بكثرة صيدها، حيث كان يوجد إلى جانبها بركة ماء يأوي إليها من الطير ما لم ير في غيرها من أماكن الصيد، وكان يفضل الإقامة فيها لشدة ولعه برياضة الصيد التي شملت صيد الطيور من السماء، والأسماك من الماء، والوحوش من الصحارى المنتشرة حولها [٣]، وكان ويقول عنها:" هذه أحسن عندي من الإقامة بالقلعة، أصيد بها الطير من السماء، والسمك من الماء، والوحش من الفضاء، ويصل إليَّ خبر القاهرة في كل يوم مرتين "، ومن فرط حبه لها وكثرة تردده إليها وإقامته فيها، أقام بها القصور والمناظر، وعمَّر بها البساتين، وكانت من أفضل متنزهاته[٤] .

(١) العباسة: بليدة بين بلبيس والصالحية في آخر أعمال مصر من جهة الشام، سميت بعباسة نسبة إلى عباسة بنت أحمد بن طولون، وكانت قد خرجت مع ابنة أخيها (قطر الندى) بنت خمارويه لما تزوجت من الخليفة المعتضد بالله العباسي، مودعة لها إلى آخر أعمال مصر، فبنت في هذا الموضع قصرا نسب إليها، ثم زيد في عمارته بعد ذلك حتى صار بليدة كثيرة المياه والأشجار، وهي الآن إحدى قرى مركز أبو حماد بمحافظة الشرقية. ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص٧٥، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص٢٢٠، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلدان المصرية، ق ٢، ج ١، ص ٦٩، ٧٠ .

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص٤٥ .

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٢٢٠، محمد فتحي الشاعر: الشرقية في عصري الأيوبيين والمماليك، ص١٢٠.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، الطبعة الأولى، الأولى، الرياض ١٩٧٦م، ص٢٩١، المقريزي: الخطط، ج١ ص ٦٤٥، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة ، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٥م، ج ١، ق ١، ص٢٥٨ .

أما الملك الصالح نجم الدين أيوب [١] سلطان مصر (٦٣٧ . ٦٤٧ هـ/ ١٢٣٩ . ١٢٤٩م) فقد ولع بالصيد، واتخذه رياضةً ومتعةً، وكان يخرج لممارسته إلى حدود مصر الشرقية المتاخمة لحدود الشام، ولكثرة خروجه للصيد في هذه المناطق بنى بها مدينة تسمى الصالحية[٢]، وشيد بها قصورًا نزهةً، كان ينزل بها عند خروجه للصيد والنزهة[٣].

وإذا كانت المصادر قد خلت من الإشارة إلى الرحلات التي خرج فيها للصيد، وتفاصيل ما كان يجري خلالها، فإن أدب هذا العصر قد تضمن ما يشير إلى شغفه

(١) الصالح نجم الدين: هو الصالح أيوب بن محمد بن محمد بن أيوب بن شادي، ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣ هـ، ونشأ بها، كان ملكًا وافر الحرمة، عظيم الهيبة، استنابه أبوه على مصر في سنة ٦٢٥هـ لما سار إلى الشرق، ثم انتقد عليه أمورا فعزله، فلما استولى على بلاد الشرق ولاه عليها، ثم ملك دمشق سنة ٦٣٦ هـ، وجرت له أمور وحبس بالكرك، ثم أخذ مصر من أخيه العادل الثاني سنة ٦٣٧ هـ، توفي بدمياط سنة ٦٤٧ هـ وهو مرابط لقتال الفرنج . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ٤٠٩، الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣ م، ج ١٤، ص ٥٦٢ . ٥٧٧ .

(٢) الصالحية: مدينة أنشأها الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٤هـ بأرض السايح على طريق القوافل بين مصر والشام ؛ لتكون منزلة للعساكر عند ذهابهم إلى الشام وعودتهم منها، وهي الآن تابعة لمركز فاقوس بالشرقية . ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٧٩، محمد رمزي: القاموس الجغرافي ق٢، ج١، ص١١٢، ١١٣ .

(٣) أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٢١٨، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٦ م، ج٢، ص ١٧٦ .

بالصيد وولعه به، وكثرة خروجه لممارسته، ومن ذلك ما جاء على لسان البهاء زهير[١] في إحدى قصائده التي مدحه بها، حيث أشار إلى هذا بقوله :

أبدًا تَحِنُّ إلى الطِّراد جِيَادُه فلها إليه تشوُّف وتشوُّق [٢]

وكان الناصر يوسف بن العزيز محمد [٣] سلطان حلب والشام (٦٣٤ . ٦٥٨ هـ / ١٢٣٦ . ١٢٦٠ هـ) مهتما بالصيد، يخرج إلى ممارسته في مواكب حافلة تضم العديد من مماليكه والمقربين منه، كما كان يرافقه بعض الأدباء، الذين اهتموا بتسجيل ما كان يحدث أثناء هذه الرحلات، ووصفوا الحيوانات والطيور، وأدوات الصيد التي كانت تستخدم، وتفننوا في وصفها في شعرهم، فعلى سبيل

(١) البهاء زهير: هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي، شاعر مصري، تميز شعره بالرقة والعذوبة، ولد في وادي نخلة بالقرب من مكة سنة ٥٨١هـ، قدم مصر وعاش مع أسرته بمدينة قوص، ثم انتقل إلى القاهرة واتصل بالملك الصالح نجم الدين فحظي عنده وقربه، وولاه رئاسة ديوان الإنشاء، ثم عزله في أواخر أيامه، رحل إلى الشام بعد وفاة الصالح فلم تطب له الحياة بها، فعاد إلى مصر ولزم داره حتى توفي بها سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ، ص٣٣٢. ٣٣٨، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ١٥٩ . ١٦٣ .

(٢) ديوان البهاء زهير، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، محمد طاهر الجبلاوي، سلسلة ذخائر العرب ٥٣، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٢م، ص١٧٧.

(٣) الناصر يوسف: هو يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، ولد بقلعة حلب سنة ٦٢٧ هـ، تولى حكم حلب بعد وفاة أبيه العزيز سنة ٦٣٤ هـ وكان عمره سبع سنين، فقامت جدته ضيفة خاتون بنت العادل بتدبير أمور الملك، استقل بالحكم بعد وفاتها في سنة ٦٤٠ هـ، اتسعت مملكة حلب في عهده، ثم ملك حمص ودمشق وبعلبك، توفي بيد المغول سنة ٦٥٩ هـ . اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص١٣٤. ١٥٠، الصفدي: الوافي، ج ٢٩ ص ١٣٧ـ ١٤٣، الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٣م، ج ٤، ص٣٦١ . ٣٦٥ .

المثال وصف النور الأسعردي [١] رحلة صيد للملك الناصر قتل في أثنائها ضبعًا، وقد تجلبب بدمائه، ما جعل الحيوانات الأخرى تنفر منه وتخشاه، واحتمى النسر بقمم الجبال بقوله :

ولما رميتَ الضَّبع فارتدَّ واقفًا وجلبابهُ المِسْوَدُّ خُلِّقَ بالدَّم
رأى النِّسرُ ما لاقى قدومك طائرًا إلى الفَلَك الأعلى من الموت يحتمي
فخلناكَ بدرًا تحته البرق سائرًا رمى اللَّيلَ عمدًا مِنْ هِلالٍ بأنجم[٢]

ولعل في هذا ما يدل على أن الناصر لم يكن يخرج لصيد الطيور والظباء فقط، وإنما كان يخرج أحيانا لصيد الحيوانات المفترسة مثل الأسود والضباع وغيرها.

وفي سرحة أخرى من سرحات الناصر التي خرج فيها للصيد، اصطاد طائرا يسمى(الكي)[٣]، وكان في صحبته الشاعر ابن مراجل الحموي[٤]، فوصف هذا

(١) النور الأسعردي: هو محمد بن عبد العزيز بن عبدالصمد بن رستم الأسعردي، شاعر وأديب ولد سنة ٦١٩هـ، سكن دمشق، واتصل بالملك الناصر يوسف سلطان حلب ودمشق، فقربه وحظي عنده وجعله نديمًا له، ومدحه بقصائد أسماها (الناصريات)، غلب على شعره الهزل والمجون والخلاعة، وقد أفرد هزلياته من شعره وضم إليها أشياء من نظم غيره في كتاب أسماه: (سلافة الزرجون في الخلاعة والمجون) توفي سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. العمري: مسالك الأبصار، ج ١٦، ص١٤٠ . ١٤٢، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣ ، ص٢٧١. ٢٧٦ .

(٢) فادي عبد الرحيم محمود: الحركة الشعرية في بلاط الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (٦٣٤ . ٦٥٨ هـ) رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح . نابلس . فلسطين ٢٠١٠ م، ص ١٤٣ .

(٣) الكي: هو طير أغبر اللون إلى البياض، أحمر المنقار والحوصلة، رجلاه تضربان إلى السواد، وهو الطائر الذي يسمى (أبو منجل). القلقشندي: صبح الأعشى ج ٢، ص ٦٦ .

(٤) ابن مراجل: هو أبو عبدالله محمد بن علي بن المسلم بن محمد الحموي، من بيت مشهور بحماة، ولد بها سنة ٥٧٨ هـ، وسمع بحلب، كان له طبع يطاوعه على قول الشعر، ويَلْحن إذا أنشد، توفي بمصر سنة ٦٦٣م /١٢٦٤م . ابن الشعار: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥م، م٦، ج ٧ ص٢٧٠ . ٢٧٢، المقريزي: المقفى الكبير، ج ٦، ص ٣٥٩ .

المشهد أدق وصف، ووصف طريقة صيد الطائر، وأشاد ببراعة الناصر في الرمى بالسهم، فسهمه الماضي لم يخطئ أبدا، ولم يصب الطائر فقط بل أصاب قلوب أعدائه أيضا، بقوله :

كوَيْتَ قُلُـوبَ من عادَاكَ كَيًّا بِصَرْعِ الكُيِّ لمَّا إن تَهَيَّا

وَسَهـمٍ لم يُفـوَّق يـومَ حـربٍ فأخطـأ لا ومـولانـا عَليًّا

كـأنَّ مجـرَّةَ الأفـلاك قـوس بـكفّـِك أو بنـادقُـهُ الـثُّريّا[1]

ومن الجدير بالذكر أننا وجدنا من ملوك بني أيوب من كان يفضل لذة الاشتغال بالصيد وممارسته، وتحصيل أدواته، على معاناة الملك والسلطان ومشقاته، ومن ذلك ما ذكرته المصادر المعاصرة عن الجواد يونس[2] (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) أنه لما ملك دمشق وتوابعها عقب وفاة الكامل محمد في سنة ٦٣٥ هـ، وخشي أن ينتزعها منه العادل الثاني بن الكامل [3] سلطان مصر (٦٣٥ . ٦٣٧ هـ

(١) ابن الشعار: المصدر السابق الجزء نفسه، ص ٢٧١ .

(٢) الجواد يونس: هو مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل الأيوبي، كان شجاعًا ذا همةٍ عاليةٍ، إلا أنه كان فاسد التدبير ضعيف الرأي، ملك دمشق بعد وفاة الكامل محمد سنة ٦٣٥هـ، وتنازل عنها للصالح نجم الدين أيوب، وأخذ عوضها سنجار وعانة، ثم فقدهما ولجأ إلى عكا فأقام بها عند الفرنج، وأخذه الصالح إسماعيل منهم بمال بذله، واعتقله وبعث إليه من خنقه في سنة ٦٤١هـ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص٣٧٩، ٣٨٠، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص٢٩٦، ٢٩٧، أبو الفدا: المختصر ج ٣، ص٢٠٥ .

(٣) العادل الثاني:هو سيف الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن أيوب، ولد بالمنصورة سنة ٦١٧ هـ، تولى حكم مصر عقب وفاة والده سنة ٦٣٥هـ، استمر حكمه سنتين وشهورا، كان خلالهما منصرفًا إلى حياة اللهو واللعب والمجون، وأسرف في نفقاته فبدد ما في خزائن مصر من الأموال، فاستاء منه كبار الأمراء، وكاتبوا أخاه الصالح نجم الدين أيوب فاستولى على مصر في سنة ٦٣٧ هـ، توفي معتقلا سنة ٦٤٥ هـ . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥ ص ٨٤ . ٨٦، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص١٧٤، ١٧٥، ٢٦٣ .

/ ١٢٣٨ . ١٢٤٠) ويعوضه عنها بإقطاع صغير قال: "إيش أعمل بالملك ؟ باز وكلب أحب إلي من هذا " وخرج للصيد، وكاتب الملك الصالح نجم الدين أيوب ليسلمه دمشق في مقابل أن يعوضه عنها ببعض أملاكه في الشرق، فَسُرَّ الصالح بذلك [١] .

ـ اهتمام الوزراء والكتاب بالصيد:

لم يقتصر الاهتمام بالصيد على سلاطين بني أيوب، وإنما شاركهم في الاهتمام به بعض القضاة والوزراء والأدباء، التماسًا للترويح والترفيه، ومما يروى في هذا الصدد ما ذكره ابن ظافر عن ابن سناء الملك[٢] من أنه خرج يومًا مع وفد من كبار رجال الدولة المصرية لاستقبال القاضي الفاضل عند عودته من بلاد الشام، فاستقبلوه ثم عادوا، فلما وصلوا إلى سطح الخشبي[٣]، لاح أمام الموكب

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢٢ ، ص ٣٥٨، ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٨ م، ج ١٧، ص٢٤٢ .

(٢) ابن سناء الملك: هو أبو القاسم هبة الله بن جعفر السعدي المصري، يلقب بالقاضي السعيد، شاعر مصري، ولد بالقاهرة سنة ٥٥٠ هـ في أسرة عريقة نعمت بالغنى والثروة، أخذ الحديث عن الحافظ السلفي، وتأدب على القاضي الفاضل، برع في فن الموشحات، وألف فيه كتابا سماه (دار الطراز) وله ديوان رسائل، عمل في ديوان الإنشاء بمصر مدة، ثم ولاه الكامل محمد ديوان الجيش، توفي بمصر سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م . العماد: خريدة القصر(قسم شعراء مصر) ج١، ص٦٤ وما بعدها، ياقوت: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٧٦٤ . ٢٧٦٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٦١ . ٦٦.

(٣) الخشبي: منزل في طريق المسافر إلى الشام، بينه وبين الفسطاط ثلاث مراحل، كان في العصر الأيوبي آخر منزل لتوديع المسافرين من رجال الدولة إلى الشام أو استقبالهم. ياقوت: معجم البلدان ج ٢، ص٣٧٣، محمد فتحي الشاعر: الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، ص٩.

ظبي، فركض خلفه القاضي المكين بن حيون[١] طامعًا أن يلحقه، ففاته الظبي، وسقطت مقرعته من يده، ورجع إلى الموكب وهو خجل من فعله " لأن الفعل لا يليق به، لأنه ليس من أهله، ولأن الصدر المتلقى (يقصد القاضي الفاضل) لا ينبغي أن يغلط بين يدي مثله" فعجب الفاضل منه، وارتجل على البديهة متندرا من فعله :

يا عاديًا عدو السفيـ ـه وعائدا عود الحليم
ضَيَّعتَ مَقْرَعةً وعُدْ تَ سَميَّهَا من غَيْرِ ميم[٢]

كما كان أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)[٣] مشغوفًا بالصيد لهجًا به، أمضى حياته بين قتال الأعداء والخروج للصيد، وكان يرى أن خروجه للصيد هو جانب الترفيه واللهو المباح في حياته التي اتسمت بالجد ومجاهدة الفرنج، ويبدو هذا واضحا من البيت الذي استهل به الحديث عن مغامراته في الصيد في كتابه الاعتبار :

ولله منِّي جانبٌ لا أضيِّعُه وللَّهوِ منِّي والبَطالةِ جانبُ

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما رجعت إليه من مصادر .

(٢) بدائع البدائه، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م، ص٢٧٠، ٢٧١ .

(٣) هو أسامة بن مرشد بن مقلد بن نصر بن منقذ، شاعر وأديب من أبطال الحروب الصليبية، ولد بقلعة شيزر سنة ٤٨٨هـ في أسرة توارثت حكمها، ثم رحل منها إلى مصر، واتصل بالخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي، وعلت منزلته بها، ثم رحل إلى دمشق واتصل بنور الدين محمود، وشارك معه في قتال الفرنج، ولما ملك صلاح الدين دمشق، استدعاه وقربه وحظي عنده، ترك العديد من المؤلفات، توفي بدمشق سنة ٥٨٤هـ . ياقوت: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٣م، ج ٢، ص٥٧١ . ٥٨٠، العماد: خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ج ١، ص٤٩٨ .

مارس أسامة الصيد شابًا وكهلا، فكان يخرج للصيد في صباه وشبابه مع والده، وكان كما ذكر أسامة عنه مشغوفًا بالصيد لهجًا به، قضى حياته عاكفًا على الخروج للصيد نهارًا، ونسخ القرآن وتلاوته ليلا [١]، كما خرج لممارسته مع بعض الملوك والأمراء في العديد من البلدان ومن بينها دمشق، ومصر، وكان له في الصيد قصص ومغامرات ذكر كثيرًا منها في كتابه (الاعتبار)[٢] .

وكان ضياء الدين ابن الأثير[٣] (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) وزير الملك الأفضل سلطان دمشق (٥٨٩ . ٥٩٢ هـ/١١٩٣ . ١١٩٦م)، يخرج في بعض الأوقات في سرحات للصيد بالطيور الجوارح والفهود المدربة، بقصد الترفيه والمتعة، ذكر في إحدى رسائله [٤] أنه خرج مع بعض أصحابه وغلمانه في سرحة للصيد بالفهود، وقصدوا بعض الضواحي التي هي " للقنص مربع، وللوحش مرتع " فصادوا العديد من الظباء، ولما قضوا مأربهم من الصيد، نزلوا في حديقة غناء للاستراحة والأكل، وأثناء تناولهم للطعام تسامروا بذكر بعض القصص والأشعار .

---

(١) الاعتبار، ص١٩٢، ١٩٩ .

(٢) انظر الباب الثالث الخاص بالحديث عن مغامراته في الصيد في الصفحات ١٩١ . ٢٢٦ .

(٣) هو نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الجزري، من أشهر كتاب العصر الأيوبي، ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨ هـ ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل، ثم التحق بصلاح الدين وعمل في ديوان الإنشاء، ولازم ابنه الملك الأفضل أكثر سني عمره، واستوزره الأفضل بدمشق، ثم اتصل بالملك الظاهر غازي سلطان حلب فلم يطل مقامه عنده، وانتقل في آخر حياته إلى الموصل، وتولى ديوان الإنشاء لصاحبها، ترك العديد من المؤلفات، توفي ببغداد سنة ٦٣٧هـ . أبو شامة: ذيل الروضتين، ص ١٦٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص٣٨٩. ٣٩٧، الصفدي: الوافي بالوفيات ج ٢٧ ، ص٢٤ . ٢٦.

(٤) رسائل ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أنيس المقدسي، مطبعة بيروت ١٩٠٦م، ص٩٨، ٩٩.

ـ طرق الصيد وأدواته :

هذا عن الصيد أمَّا عن طرق الصيد فقد اختلفت باختلاف ما يراد صيده من طير أو حيوان، فكانت طريقة صيد الطير، تبدأ برمي الحب لها لتهبط عليه، ثم يأمر السلطان مماليكه فيضربون حولها حلقة وهي مشغولة بالتقاط الحب، غافلة عما يراد بها، ثم يذعرونها بضرب الطبول، ويطلق السلطان الصقور والشواهين [١] لصيدها.

أما صيد الحيوانات البرية من الأرانب والغزلان والحيوانات المفترسة، فكانت عملية الصيد تتم بضرب حلقة كبيرة من عسكر السلطان وأعوانه تحيط بالساحة التي تنتشر بها هذه الحيوانات البرية، ثم يحاولون إغلاقها، ثم يحضر السلطان ومعه الطيور الجوارح، والكلاب والفهود المدربة، والأسهم والرماح، فتذعر هذه الحيوانات، وقد سدت عليها مسالكها، فيقوم السلطان وأعوانه بصيدها إما بإطلاق ما معهم من الكلاب والفهود المدربة، أو بإطلاق السهام والرماح عليها [٢] .

أما عن الأدوات والوسائل المستخدمة في الصيد فكانت متنوعة واختلفت حسب الطيور والحيوانات التي يراد صيدها، فاستخدموا الخيول، واستخدموا الفهود المدربة كما مر معنا عند الحديث عن رحلة صيد ضياء الدين ابن الأثير. كما استخدموا كلاب الصيد المدربة لصيد الغزلان والحمر الوحشية والطيور، ولدينا وصف شيق لأحد كلاب الصيد التي كان يستخدمها الأشرف موسى في سرحات الصيد، وقد جاء هذا الوصف

---

(١) الشواهين والشياهين: جمع مفرده شاهين، ليس بعربي، والشاهين طائر من جوارح الطير من جنس الصقر، وهو من أسرع الجوارح وأخفها جناحا، وهو ثلاثة أنواع: شاهين، وقطامي، وأنيقي. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ج ٢، ص ٦١٤، ٦١٥ .

(٢) أسامة ابن منقذ: الاعتبار، ص ١٩٢، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤، ص ١٦٨، ١٧٠ . ١٧٢.

على لسان الشاعر المصري ابن النبيه [١] في إحدى قصائده التي مدح بها الأشرف، وقد كان مرافقا له في هذه الرحلة، حيث وصف كلب الصيد بسرعة العدو، وشدة الفتك بالفرائس بقوله :

وأطْلَقَ كلْبًا لَهُ ضَارِيًا ... يُبَاري هُبُوبَ الصَّبا والجَنَائبْ

تَطيرُ بِه أرْبَعٌ كالرِّياحِ ... ويَفْتَرُّ عن مُرْهَفاتٍ قَوَاضبْ

وتُضرمُ في ليلِ جِلْبَابِهِ ... شُعاعُ شهابٍ من العَيْنِ ثَاقِبْ[٢]

وإلى جانب هذه الحيوانات استخدموا طيور الصيد المدربة، ومن أهمها : الشاهين، ذكر العماد الأصفهاني أنه كان لصلاح الدين شاهين يجري كأنه بحر، ويصيد كثيرًا، فأعجب به العماد، وطلب من صلاح الدين أن يهبه له، فوهبه له.

قال العماد: "فملكت ذلك الشاهين خمس سنين، والسلطان يصطاد به ولي قنصه، فما زال لي على هذا الحق محافظًا، ولهذه النكتة ملاحظًا إلى أن أودى الجارح، وانقطعت تلك المنايح" [٣]. ومن الطيور الجوارح التي استخدمت في الصيد البازي[٤]، كما استخدموا قسي البندق في صيد الطيور[٥].

(١) ابن النبيه: هو كمال الدين علي بن محمد بن الحسن بن يوسف المصري، كاتب شاعر، كان من مفاخر الشعراء المصريين، ولد بمصر سنة ٥٦٠ هـ ونشأ بها، ، مدح ملوك بني أيوب، تولى ديوان الخراج والحساب بمصر، ثم رحل إلى نصيبين واتصل بالملك الأشرف موسى وحظي عنده، فولاه ديوان الإنشاء، له ديوان شعر صغير انتقاه من مجموع شعره، توفي بنصيبين في سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م . ابن الشعار: قلائد الجمان م٣، ج٤، ص ٢٢٦ وما بعدها، الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ٦٦ .٧٣ .

(٢) ديوان ابن النبيه، ص١٩١، ١٩٢ .

(٣) البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٨٦، أبو شامة: الروضتين، ج٣، ص٢٦٨، ٢٦٩ .

(٤) ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٧، ص١٦١، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ٢٧.

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب، ص٤٨٠، ٤٨٥، ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص١٠، ٦٤، ١١٥ .

- مناظر الصيد على المنتجات الفنية :

في الحقيقة إن اهتمام سلاطين بني أيوب بالصيد وولعهم به قد تجلى بوضوح من خلال المنتجات الفنية في العصر الأيوبي، وما تضمنته من نقوش ورسوم لمناظر الصيد، فلم يقتصر الشغف بهذه الرياضة على السلاطين والأمراء، وإنما تعداهم إلى الفنانين والمصورين الذين حرصوا على تسجيل مناظر الصيد على منتجاتهم الفنية المختلفة من خزف ومعادن وأخشاب، وقد اشتملت هذه المناظر على العديد من مناظر الصيد، ومن ذلك على سبيل المثال صورت مناظر الصيد بالخيل على طست من النحاس الأصفر المكفت بالفضة عليه اسم السلطان العادل الثاني بن الكامل[١]، وهو مزين بمناظر الصيد المتمثلة في رسوم الخيل، وهي بأوضاع مختلفة تموج بالحيوية والحركة بعضها يقفز، وبعضها يعدو من مكان مرتفع، وبعضها يتبع سائسه، أما الصيادون فقد صور بعضهم في حركة واضحة وهم يمارسون عملية صيد الطيور والحيوانات بأدوات وطرق مختلفة، بعضهم يطلق سهمه من قوسه، وآخر يمسك صقر صيد، ومنهم من يحاول أن يصطاد غزالا، واثنان منهما يحاولان طعن خنزير[٢]، وإلى جانب مناظر الصيد بالخيل اشتمل أيضا على منظر للصيد بالفهد، يظهر فيه الفهد وقد انقض على مؤخرة جمل[٣] .

(١) محفوظ بمتحف اللوفر بباريس رقم٥٩٩١ . محمد عبدالعزيز مرزوق: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، المكتبة الثقافية، القاهرة ١٩٦٣، ص ٧٣ .، عبدالعزيز صلاح سالم: الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي ج١ التحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٤٦ .

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق: المرجع السابق نفسه، عبدالعزيز صلاح: المرجع السابق الجزء نفسه، ص١٥٣.

(٣) عبدالعزيز صلاح سالم: المرجع السابق الجزء نفسه، ص ١٤٨ .

ونقشت مناظر الصيد أيضا على شمعدان من النحاس المكفت بالفضة من صناعة إسماعيل بن فتوح الموصلي(١)، حيث تزين سطحه مجموعة من المناظر، منها منظر لصياد يمتطي صهوة جواده وفي يده قوس يشده ليطلق منه سهمًا، وقد جلس خلفه على الجواد فهد(٢).

كما نقشت مناظر الصيد على كأس من النحاس المكفت بالفضة ينسب إلى الملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي(٣)، وفي هذه المناظر يظهر الصيادون في أوضاع مختلفة، يرافقهم طيور وحيوانات الصيد المختلفة(٤).

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أن الصيد كان رياضة محببة لدى سلاطين بني أيوب وأمرائهم، ووسيلة مهمة من وسائل الترفيه، وأن الاهتمام به لم يقتصر على السلاطين فقط، وإنما شاركت طوائف أخرى من المجتمع في ممارسة هذه الرياضة التماسًا للترويح والترفيه. وهذا الانتشار الواسع لرياضة الصيد يعكس لنا مقدار المساحة المخصصة لهذا اللون من ألوان الترفيه، في عصر غلب على أحداثه غبار المعارك، وصهيل الخيول، وصليل السيوف، وزمجرة الفرسان، وقعقعة السلاح، ودماء القتلى، وأنات الجرحى، ومعانات الأسرى.

(١) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة . صلاح حسين العبيدي: الصيد والقنص في المصادر الأثرية في العصر العباسي، مجلة المورد العراقية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، صيف ١٩٨٥م، ص ٧٢، ٣٧ .

(٢) صلاح حسين العبيدي: المرجع السابق نفسه، انظر: ملاحق البحث ملحق رقم (١)

(٣) محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٣١٩٢ .

(٤) يوجد وصف تفصيلي لهذه المناظر في: عبدالعزيز صلاح سالم: الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج١ التحف المعدنية، ص ١٦٧ . ١٦٩ .

المبحث الثاني
ألعاب الفروسية

مارس سلاطين بني أيوب وأمراؤهم، ورجال الطبقة العسكرية من الفرسان والجنود العديد من ألعاب الفروسية، بهدف الترويح عن النفس، والتخفيف من ضغوط الحروب وويلاتها، ولتطوير القدرة العسكرية؛ لما لها من علاقة مباشرة بفنون الحرب وخططها، فضلا عن غرس بعض القيم كالصبر والشجاعة وتقوية العزيمة في نفوس المقاتلين .

وقد تعددت ألعاب الفروسية التي مارسها السلاطين والأمراء في أوقات فراغهم، واحتلت مكانة كبيرة بين الألعاب الرياضية، ومثلت جزءًا مهمًا في حياتهم، حيث كانوا يقضون معظم أوقاتهم في ميادين القتال الفعلية أو في التدرب على فنونه، ومما عمق الاهتمام بهذه الرياضات روح الجهاد التي سيطرت على الناس حكامًا ومحكومين في هذا العصر، وحماستهم الزائدة إلى النفير وتلبية داعي الجهاد، ولا يتم ذلك إلا لمن توفرت فيه مؤهلات الفروسية .

ولم تكن رياضات الفروسية بمختلف أنواعها مجرد رياضات تمارس بغرض التسلية والترفيه، وتزجية أوقات الفراغ، وإنما كانت رياضات تدريبية مهمة، تؤهل صاحبها ليكون فارسًا عظيمًا، يعتمد عليه في خوض غمار الحروب وويلاتها، ومن أجل هذا دأب ملوك بني أيوب على ممارستها، وتدريب أبنائهم ومماليكهم عليها منذ الصغر، وقد شاهد ابن جبير[١] . أثناء زيارته لدمشق . كيف كان أبناء صلاح الدين يخرجون كل يوم في المساء إلى ميادين دمشق، ويتلقون دروسًا عملية في التدرب

(١) رحلة ابن جبير، ص ٢٣٥ .

على ركوب الخيل، والرمي بالقوس، والطعن بالرمح، واللعب بالصوالجة [١]، وغير ذلك من فنون الفروسية المختلفة التي لا يتقنها المتدرب عليها بين يوم وليلة، وإنما تحتاج إلى ممارسات عملية، وتدريبات شاقة مضنية .

وقد اتخذت رياضات الفروسية في هذا العصر أشكالا متعددة منها : سباق الخيل، والمبارزة بالسيف، واللعب بالرمح، ولعب الكرة، ومعظمها رياضات لا يمارسها إلا أبناء الطبقة العسكرية من السلاطين والأمراء والجنود؛ لمهارتهم فيها، ولامتلاكهم الخيول المدربة، بينما اقتصر نصيب عامة الشعب منها على مجرد المتعة الناتجة عن التفرج عليها [٢]، وفيما يلي نعرض لأهم هذه الرياضات :

ـ سباقات الخيل:

لا شك أن الخيل من الحيوانات التي استأثرت بحب الإنسان منذ أقدم العصور، واعتمد عليها اعتمادًا أساسيًا في شتى مجالات حياته، ومن أهم هذه المجالات الحرب والجهاد، كما كان يعتمد عليها كوسيلة للانتقال والسفر، فضلا عن استخدامها في الصيد والطرد، وفي السباقات الرياضية، وفي ممارسة بعض الألعاب مثل : لعبة الكرة والصولجان، وفي ألعاب الفروسية المختلفة .

ورياضة سباق الخيل من الرياضات التي أباحها الإسلام ؛ لما فيها من التحريض على ركوب الخيل، وتنشيط الخيول، والاستعداد للمشاركة في الجهاد إذا

---

(١) الصَوَالجَة، اسم فارسي مُعرَّب من الفعل الثلاثي صَلَجَ، ومفردها صَوْلِجَان، والصَّوْلَجُ والصَّوْلَجانُ العود المعوج، وهي عصا معقوفة في جزئها العلوي يضرب بها الكرة من على ظهر الدواب .ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ج ٢٨ (باب الصاد) مادة: (صَلَجَ)، ص ٢٤٧٩.

(٢) لطفي أحمد نصار: وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، سلسلة تاريخ المصرين رقم ١٤١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٦٥ .

دعت الحاجة إلى ذلك، وقد كان النبي ـ ﷺ ـ يرعى هذا النوع من المسابقات، ويحضره مشرفًا ومشجعًا، ويضع جوائز للفائزين(١).

وقد انتشرت رياضة سباق الخيل في الدولة الإسلامية وكانت من أعرق ضروب الرياضة التي لقيت كل عناية وتشجيع من الخلفاء والسلاطين والأمراء، وقبيل العصر الأيوبي كان السلطان نور الدين محمود بن زنكي (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) سلطان دمشق وحلب، يمارس سباق الخيل على خيول خاصة يستخدمها في السباق، وقد دفعه حبه لممارسة هذه الرياضة أن يستعير فرسًا إفرنجيا كان ملكًا لأسامة بن منقذ امتاز بسرعة عدوه وجريه، وطول نفسه في السباق، فأعجب به واستعاره منه، واستخدمه في السباق فسبق به أكثر من مرة، ولشدة إعجابه به أهداه إليه، وقد أشار أسامة إلى هذا بقوله: "ثم أصبح سبق، فسبق، ورده إلى اصطبلي، وعاد استدعاه من البلد، وسبق به فسبق، فحملته إلى اصطبله" (٢) .

أما في العصر الأيوبي فقد شغف سلاطين بني أيوب بالخيول وتربيتها وتدريبها، وأنفقوا الأموال في شرائها والعناية بها؛ لما لها من دور هام في الجهاد،

---

(١) ومن شواهد ذلك ما روي عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: " سابق رسول الله ـ ﷺ ـ بين الخيل التي قد أُضْمِرَت (أعدت للسباق والقتال) فأرسلها من الحيفاء وكان أمدها ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل التي لم تُضَمَّر، فأرسلها من ثنية الوداع وكان أمدها مسجد بني زريق " وكان ابن عمر ممن سابق فيها . انظر: الإمام مسلم: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩١ م، ج ٣ ص١٤٩١، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها، حديث رقم ١٨٧٠. وكان ـ ﷺ. يعطي السابق في هذه المسابقات جائزة على فوزه، ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: " سَبَّقَ النبي ـ ﷺ ـ بين الخيل وأعطى السابق ". المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م، ج ٩ ص٤٧١ .

(٢) الاعتبار، ص٤٦ .

وأقاموا لها الاصطبلات الخاصة[١]، وكانت في نظرهم من أجل الهدايا التي يتبادلونها فيما بينهم [٢]، بل ومع ملوك البلاد المجاورة [٣] .

وقد كان صلاح الدين كما ذكر مؤرخوه فارسًا شجاعًا يجيد ركوب الخيل، ويحسن الحرب على صهواتها، قضى معظم حياته فوق صهوة جواده حتى وصف بأنه كان " لا يأوي لراحة، ولا يخلد إلى دعة، سرجه هو مجلسه " [٤]، وقد دفعه حبه للخيل وتعلقه بها إلى العناية بها ومعرفة أنسابها، فيذكر ابن شداد عنه أنه كان "حافظًا لأنساب العرب ووقائعهم، عارفًا بسيرهم وأحوالهم، حافظًا لأنساب خيلهم" [٥].

وقد كانت سباقات الخيل تقام بصفة خاصة في الأعياد والاحتفالات العامة، فكان صلاح الدين يقيم سباقات الخيل في دمشق عندما يعود إليها في أوقات الهدنة

(١) ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٧، ص ١١٨ .

(٢) ذكرت المصادر المعاصرة أن صلاح الدين وهب أثناء وجوده أمام أسوار عكا لمن معه نحو اثني عشر ألف رأس من الخيل . ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٤٩، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ١٨، كما أهدى الملك الظاهر غازي سلطان حلب (ت ٦١٣هـ) إلى عمه الملك العادل الأيوبي (ت٦١٥ هـ) هديةً سنيةً كان من بين ما اشتملت عليه خمسون رأسًا من الخيل .، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص ٢٢٠، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات م٥، ج ١، ص ١٣٦ .

(٣) ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر أن صلاح الدين أهدى إلى عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار مجموعة من الخيول العربية السوابق .ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سيهل زكار، دار الفكر، بيروت، ج ٨، ص٣٨٥٩، ٣٨٦٢، كما أهدى الإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور ألمانيا إلى الملك الكامل محمد هدية كان فيها عدة خيول . المقريزي: السلوك ج ١، ق١، ص٢٢٣ .

(٤) ابن جبير: الرحلة، ص٢٤٣ .

(٥) النوادر السلطانية، ص٧٠ .

والسلم بالميدان الأخضر[١]، وميدان الحصى[٢]، كما كان أبناؤه يخرجون إليهما كل يوم في المساء للرماية والمسابقة بالخيل، واللعب بالصوالجة، وقد شاهد ابن جبير الذي زار دمشق في سنة ٥٨٠ هـ /١١٨٤م هذه السباقات، وذكرها في رحلته عند حديثه عن مشاهداته في دمشق فقال: " وفي الجهة الغربية من البلد ميدانان كأنهما مبسوطان خزًا لشدة خضرتهما ... يخرج السلطان إليهما ويلعب فيهما بالصوالجة، ويسابق بين الخيل ... وفي كل ليلة يخرج أبناء السلطان إليهما للرماية والمسابقة واللعب بالصوالجة "[٣]، وما ذكره ابن جبير يدل دلالةً واضحةً على مدى شغف صلاح الدين وأبنائه برياضة الفروسية، وحرصهم على ممارستها بصفة دورية يوميًا، كضرب من ضروب الترفيه الجاد والهادف .

كما كانت سباقات الخيل تقام أيضا في الميدان الأخضر في ظاهر حلب[٤]، وقد جدده الظاهر غازي بن صلاح الدين (ت ٦١٣ هـ) ؛ ليكون مجرى للخيل وملعبًا للكرة [٥]، وإذا كانت المصادر التاريخية قد ضنت علينا بأخبار ما كان يجرى

(١) الميدان الأخضر: هو أحد ميادين دمشق، يقع في الجهة الغربية منها، على مرج فسيح يشرف على نهر بردى، يحيط به سياج من أشجار الجوز. ابن جبير الرحلة، ص٢٤٣، سوفاجيه: دمشق الشام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦ م، ص ٣٥، محمد ياسين الحموي: دمشق في العصر الأيوبي، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٤٦ م، ص٥٩ .

(٢) ميدان الحصى: يقع في الجهة الجنوبية من مدينة دمشق، على أرض حصباء ؛ ولهذا سمي بميدان الحصى، وهو أصغر من الميدان الأخضر من حيث المساحة، . سوفاجيه: دمشق الشام، ص٣٥، محمد ياسين الحموي: دمشق في العصر الأيوبي، ص ٥٩ .

(٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٢٣٥.

(٤) الميدان الأخضر: يقع في الناحية الشرقية من حلب بجوار باب العراق، بناه السلطان نور الدين محمود في سنة ٥٥٣هـ، وجدده الظاهر غازي بن صلاح الدين . ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج١، ق ١، ص ١٩ ـ ٢١، ١٦٧.

(٥) ابن شداد: المصدر السابق الجزء نفسه، ص ١٦٧ .

في ساحة هذا الميدان من رياضات الفروسية المختلفة في هذا العصر، ومن بينها سباقات الخيل، فإن الشعر ـ وهو صورة المجتمع في كل بيئة، ومرآة الحياة في كل عصر ـ قد أمدنا بتفاصيل ما كان يجري على ساحته من رياضات الفروسية المختلفة، ومن ذلك ما جاء على لسان الرشيد النابلسي (ت ٦١٩ هـ / ١٢٢٢م)[١] يصف هذا الميدان، ويبدي إعجابه به، وقد أبدع في وصفه، وأشار إلى ما كان يجري في ساحته من رياضات الفروسية المختلفة، ومن بينها سباق الخيل بقوله :

فحبَّذا في حلبٍ مسارح ... للحُسنِ رُوحُ الرُوحِ في عِيَانِهَا

وحبَّذا ما تمرح الأعينُ في ... مُرُوجهُ الفيحاءُ من ميدانِهَا

رحبُ مجالِ الخيل ممتد مدى الـ ... سابقُ في الحلبةِ من فُرسَانِهَا

لا يبلغ الغايةَ من أقطارهِ ... إلا فتىً يُطلِقُ من عِنَانِهَا

يُشرَحُ إذ يحِلُّهُ صدر الفتى ... وتَمْرَحُ الجيادُ في أرسانِهَا

فما لملك لذَّة أحلى به ... من كرة اللعب وَصَوْلَجانِهَا

مُمَهَدُ البقعة للمَجرَى به ... مُنَزَّهُ الرقعةِ عن شيطانِهَا [٢]

(١) الرشيد النابلسي: هو عبد الرحمن بن بدر بن الحسن النابلسي، الملقب بمدلويه، أحد الشعراء المعروفين، ولد بدمشق في سنة ٥٥٣هـ، واشتغل بالأدب واللغة، ورحل إلى بغداد، ثم عاد إلى دمشق وعمل بها مؤدبًا للصبيان، وكانت له حلقة بالجامع الأموي يقرئ فيها النحو، اتصل بملوك بني أيوب في الشام ومدحهم، وحظي عندهم، توفي بدمشق سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢م .ابن الشعار: قلائد الجمان م٢، ج ٣، ص ٢٧١ ـ ٢٨٩، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٧٤ ـ ٧٦، ابن شاكر: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

(٢) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق ١، ص١٦٧ .

وفي بعض الأحيان كانت سباقات الخيل تجري في البرية خارج المدن، كما فعل السلطان الأشرف موسى بن العادل الأيوبي (ت ٦٣٥ هـ) عندما خرج في سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م إلى البرية خارج دمشق، وجمع الخيول للسباق [١] .

ومن هذا العرض يتضح لنا الاهتمام الكبير بسباقات الخيل في هذا العصر، وأن هذا الاهتمام مبعثه أهمية هذه السباقات في تدريب الجنود والفرسان على ركوب الخيل، والاستعداد للمشاركة في الجهاد إذا دعت الحاجة لذلك.

ـ الرماية والمبارزة واللعب بالرمح:

من ألعاب الفروسية التي انتشرت في العصر الأيوبي بين رجال الطبقة العسكرية، وهي من فنون القتال التي كان يتضمنها برنامج الإعداد العسكري للمملوك إذا وصل إلى سن البلوغ، حيث كان ينتقل من التعليم الديني إلى التعليم الحربي فيتدرب على فنون القتال من رمي السهام، ولعب الرمح، والمثاقفة[٢] بالسيف، لأنها من متطلبات الفروسية [٣] .

كان الجنود يتدربون على إتقان هذه الرياضات في الميادين المخصصة لها في أوقات الفراغ، ويخرج العامة لمشاهدتهم والتفرج عليهم، كما كان يجري تقديم عروضها في الاحتفالات العامة كمظهر من مظاهر الشجاعة والفروسية وضرب من

---

(١) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٢٥٦ .

(٢) المثاقفة: اللعب بالسلاح، وهي محاولة إصابة الغرة في المسابقة . أحمد تيمور: لعب العرب، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٨م، ص ١٦.

(٣) لم تشر المصادر المعاصرة إلى طريقة التربية التي سار عليها الأيوبيون في تنشئة المماليك، وإنما اعتمدنا على ما كتبه المقريزي في وصف ما جرت عليه الدولة المملوكية بعد ذلك في تربية المماليك، وما أورده المقريزي وإن كان متأخرًا إلا أنه يمكن الأخذ به والاعتماد عليه ؛ لأن الدولة المملوكية وليدة الأيوبيين ونظمها مقتبسة من نظمهم . المقريزي: الخطط، ج ٣، ص ٦٥، ٦٦ .

ضروب الترفيه، ومن ذلك ما حدث عندما قدم صلاح الدين إلى دمشق في سنة ٥٨٨ هـ /١٢٩٢ م، وكان قد غاب عنها لفترة طويلة، فاستقبله أهلها استقبالا حافلا، وضرب سرادقه في الميدان الأخضر، وأقيمت الاحتفالات ابتهاجًا بقدومه، وجاءت إليه وفود الناس، واجتمع إليه الشعراء والأدباء، وجاء إليه أرباب الملاعب من المصارعين، والمثاقفين وغيرهم، وتباروا في تقديم العروض المختلفة من اللعب بالرمح، والمثاقفة بالسيف، والمصارعة (١) .

وأحيانا كان يجري تقديم عروضها ضمن أنشطة الاحتفالات الرسمية بالنصر في معركة حربية ما، كما حدث في سنة ٦٤٨هـ /١٢٥٠م عندما انتصر المماليك البحرية على الناصر يوسف بن العزيز محمد سلطان حلب ودمشق ومن معه من أمراء الشام الأيوبيين، عقب الكسرة التي وقعت عليهم في موقعة العباسة، فدخل المماليك والأمراء البحرية القاهرة وسط احتفالات باهرة، وصفها ابن أيبك الدواداري بقوله: "وشقّوا القاهرة وهم يلعبون بالرماح بين القصرين على خيولهم" (٢) .

كما كان يتم تقديم عروضها المختلفة أثناء بعض الاحتفالات الخاصة كحفلات الزواج وغيرها، ومن ذلك ما حدث عند الاحتفال بزواج ابن الأمير إياس المصري الأسدي(٣)

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ج ١، ق ١، ص٢٤٥ .

(٢) ابن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٨ (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية) تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة ١٩٧١ م، ص ١٨، المقريزي: السلوك، ج ١، ق٢، ص٣٧٧ .

(٣) إياس المصري: هو الأمير إياس الطويل، من مماليك صلاح الدين، كان من الفرسان الشجعان، وله في قتال الفرنج صولات وجولات، تقنطر به فرسه في واقعة قيسارية سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م فاستشهد . العماد: الفتح القسي، ص ٢٨٣، ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٧١، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢١، ص ٣٨٦.

بابنة الأمير سيف الدين أيازكوج[١] مقدم الأسدية، فقد احتفل الأمراء والأجناد، وبالغوا في الحشد غاية الاجتهاد " وأظهروا من ضروب آلات الحرب ما يفوق الوصف، ويروق الطرف ... فكانت أوقات ذلك الزفاف مشهورة مشهودة، وأيامه في أيام الأعياد المعدومة النظير معدودة" [٢].

وقد اشتهر بعض سلاطين بني أيوب بالبراعة في هذه الرياضات، وعلى سبيل المثال كان تاج الملوك بوري بن أيوب[٣] (ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م) بارعًا في الرمي بالقوس، والطعن بالرمح [٤]، كما كان الصالح نجم الدين أيوب (ت ٦٤٧ مولعًا بألعاب الفروسية، يركب مع مماليكه إلى الميدان الصالحي[٥] لممارسة

(١) أيازكوج: هو الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي، من مماليك أسد الدين شيركوه، وبعد وفاته أصبح من أمراء صلاح الدين ومقدمًا للمماليك الأسدية، كان صلاح الدين يثق به ويركن إلى رأيه، ولاه قلعة حلب بعد فتحها سنة ٥٧٩هـ، بنى بالقاهرة المدرسة الأزكشية وجعلها وقفا على الفقهاء الحنفية، توفي بمصر سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م . أبو شامة: ذيل الروضتين، ص ٣٤، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ، ص ٨٨، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط ١، الدار العربية للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م، ص٨٧ .

(٢) ابن ظافر: بدائع البدائه، ص١٤٢.

(٣) هو تاج الملوك بوري بن أيوب بن شادي، أصغر أخوة صلاح الدين، ولد سنة ٥٥٦ هـ، كان فارسًا شجاعًا، أديبًا شاعرًا، موفور الذكاء، له ديوان شعر مشهور، توفي سنة ٥٧٩هـ ولما يتم الثالثة والعشرين من عمره من الجرح الذي أصابه أمام حلب، وبكاه صلاح الدين بقوله:" ما وفت حلب بشعرة من أخي تاج الملوك بوري " . العماد: خريدة القصر(بداية قسم شعراء الشام)، ص١٣٤ . ١٣٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص٢٩٠ . ٢٩٢، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص١٤٣ .

(٤) أبو شامة: الروضتين، ج ٣، ص ١٦٦ .

(٥) الميدان الصالحي: كان بأرض اللوق من بر الخليج الغربي، كان موضعه بستانًا يعرف ببستان الشريف بن ثعلب، فاشتراه الملك الصالح نجم الدين في سنة ٦٤٣هـ بثلاثة آلاف دينار من الأمير حصن الدين ثعلب الجعفري، وجعله ميدانًا، وخصصه لممارسة الرياضة ولعب الكرة، وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل . ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٦، ص٨٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٧٨، المقريزي: الخطط، ج ٣، ص٢٦.

التدريبات العسكرية، واللعب بالرمح، ورمي النشاب، ولعب الكرة والصولجان [١]، وكان يشجع على نشر هذه الرياضات بين خواصه ومماليكه، ونصح ابنه المعظم تورانشاه (ت ٦٤٨ هـ /١٢٥٠م) [٢] ألا يستخدم من المماليك إلا من يعرف اللعب بالرمح على الفرس، ويرمي بالنشاب والأكرة، وتظهر فروسيته [٣].

وقد غدت ممارسة هذه الرياضات والبراعة فيها مجالا يطرقه الشعراء، فوصفوا طريقة لعبها، ومدحوا المجيدين لها، ومن ذلك ما نظمه الشواء الحلبي (ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م)[٤] يمدح مثاقفًا برع في استخدم أسلحة القتال بقوله :

إذا تَرَسِّم يومًا للثِّقافِ غَدَتْ أسدُ الشَّرى منهُ بين الخَوْفِ والوَجَلِ

(١) ابن واصل: المصدر السابق نفسه، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص٥٧٧ .

(٢) تورانشاه: هو المعظم غياث الدين تورانشاه بن أيوب بن محمد بن العادل، كان نائبا لأبيه على حصن كيفا وغيرها من ديار بكر، ، ثم حكم مصر بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٧ هـ، وكان فيه خفة وطيش، فأساء التدبير وبدت منه أشياء نفرت مماليك أبيه منه، فقتلوه أوائل سنة ٦٤٨هـ، بعد أن حكم مصر شهرين وأيامًا. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٦، ص ١٢٨- ١٣٠، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٩ .

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٢٢٦، أحمد عبدالرازق: وسائل التسلية عند المسلمين . بحث في كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص١٠٦ .

(٤) الشواء الحلبي: هو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي بن أحمد، المعروف بالشواء، شاعر شامي، ولد في حلب سنة ٥٦٢هـ، ونشأ فيها، كان أديبًا فاضلا متقنًا لعلم العروض والقوافي، اتصل بملوك بني أيوب ومدحهم، ولم يكن ممن يرتزق بشعره على عادة الشعراء، بل كان يقوله تولعًا، له ديوان شعر كبير، توفي بحلب سنة ٦٣٥هـ /١٢٣٧م . ابن الشعار: قلائد الجمان م ٨ ، ج١٠، ص ١٤٥ وما بعدها، ابن العديم: بغية الطلب، ج١٠، ص٤٦١١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧ ص ٢٣١ ـ ٢٣٦.

يُمْنَاهُ كالبَرْقِ أمْسَتْ سُرْعَةً وغَدَتْ يُسْرَاهُ أثْبَتَ تَحْتَ التُّرسِ مِنْ جَبَلِ[١]

كما انعكس الاهتمام بها على المنتجات الفنية، فقام الفنانون بتصوير مناظر المبارزة في بعض منتجاتهم الفنية وخاصة التحف المعدنية، فرسمت مناظر المبارزة على طست ينسب إلى الملك العادل الثاني بن الكامل محمد [٢]، وفي الرسم يظهر فارسان وقد أمسك كل منهما بالسيف في اليد اليمنى والترس في اليد اليسرى، كما ظهر أحدهما وقد بدأ بتوجيه ضربةٍ قويةٍ نحو رأس الخصم الذي يتلقاها بالترس، ويصوِّب إليه ضربةً مضادةً في نفس اللحظة [٣] .

كما صورت مناظر المبارزة على زهرية من النحاس المكفت بالفضة، باسم الناصر يوسف بن العزيز محمد سلطان حلب ودمشق (ت٦٥٩هـ /١٢٦٠م) حيث رسم عليها منظر لفارسين في وضع المواجهة وقد أمسك كل منهما بالسيف والترس، واستعدا للمبارزة، ويحلق فوق رأسيهما طائر [٤] .

ـ الكرة والصولجان (البولو) :

من الألعاب التي ارتبطت بالفروسية، وهي لعبة فارسية الأصل نقلها العرب عن الفرس، وعرفت باسم رياضة الكرة، أو ضرب الكرة أو الأكرة، والاسم الشائع لها لعبة الكرة والصولجان، وهي عبارة عن كرة كانت تصنع من مادة خفيفة مرنة كالفلين ونحوه، تلقى في أرض الميدان، فيتسابق الفرسان إلى التقاطها بعصا طويلة

(١) ابن الشعار: قلائد الجمان م٨، ج ١٠، ص١٦٠، ١٦١ .

(٢) محفوظ بمتحف اللوفر بباريس تحت رقم ٥٩٩١ .

(٣) عبد العزيز صلاح سالم: الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج ١ التحف المعدنية، ص ٢٥٧، ٢٥٨ .

(٤) محفوظة بمتحف اللوفر بباريس تحت رقم ٤٠٩٠ . عبد العزيز صلاح سالم: المرجع السابق ج١، ص١٧٣، ١٧٤، ٢٥٨.

معقوفة تسمى الصولجان أو الجوكان، ويرسلونها في الهواء وهم على ظهور خيولهم، وتعرف الآن باسم البولو (polo)[١] .

وهي من الرياضات البدنية التي مارسها السلاطين والأمراء والفرسان من أجل ترويض أجسامهم وخيولهم؛ لأنها تساعد على اكتساب مهارات القوة والسرعة والمرواغة، والدقة في إصابة الهدف، فضلا عن أهميتها في إكساب الخيول القوة والمرونة في الحركة؛ وقد فطن السلطان نور الدين محمود بن زنكي (ت ٥٦٩ هـ /١١٧٣م) [٢] ومن جاء بعده من حكام بني أيوب إلى أهمية مزاولة هذه الرياضة، فحرصوا على ممارستها لأنهم كانوا يرون فيها تدريبًا على الفروسية، وترويضًا للخيل، وعندما كتب أحد الصالحين إلى نور الدين يلومه على ولعه بلعبها ويقول له: " ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة ! " أجابه بأنه لا يفعل ذلك بقصد اللهو والبطر، وأوضح له أن حياة الجيوش لا تقتصر على الحرب فحسب، حتى لا تصير مشقة لا يطيقها الجنود، بل لا بد أن يتخللها فترات من الراحة يقوم فيها الجنود ببعض ضروب التسلية المفيدة في اكتساب مهارات القتال من الكر والفر، حيث كتب إليه يقول: "ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر، إنما نحن

(١) أحمد عبدالرازق: وسائل التسلية، ص١٠٤، ١٠٥، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٤٨، محمد الششتاوي: ميادين القاهرة في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٥.

(٢) كان نور الدين محمود مولعًا بهذه الرياضة، متقنًا لفنونها، حتى وصف بأنه " كان من أحسن الناس لعبًا بالكرة وأقدرهم عليها، لم ير جوكانه (مضربه) يعلو على رأسه " ولشدة ولعه بها كان يلعبها بالنهار، فإذا حل الظلام أوقدت له الشموع ليلعب في ضوئها. ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهر ١٩٦٣م، ص١٦٨، ١٦٩، البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٣، أبو شامة: الروضتين، ج١، ص٤٣، ج٢ ص٣٦، ابن واصل: مفرج الكروب ج١، ص٢٧٩ .

في ثغر، والعدو قريب منا، فبينما نحن جلوس إذ يقع صوت فنركب في الطلب، ولا يمكننا أيضا ملازمة الجهاد ليلًا ونهارًا، شتاءً وصيفًا، إذ لا بد من الراحة للجند، ومتى تركنا الخيل على مرابطها، صارت جَمَامًا [١] لا قدرة لها على إدمان السير في الطلب، ولا معرفة لها بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة، فنحن نركبها ونروِّضها بهذا اللعب، فيذهب عنها جَمَامها، وتتعوَّد سرعة الانعطاف، والطاعة لراكبها في الحرب . فهذا والله هو الذي بعثني على اللعب بالكرة " [٢] .

وقد انتشرت هذه الرياضة بصورة كبيرة خلال العصر الأيوبي، وأصبحت من الهوايات المفضلة لدى كثير من السلاطين والأمراء، حيث أولوها اهتمامًا كبيرًا، فأقاموا لها الميادين، وأعدوا لها ما يلزمها من الخيول والأدوات، وخصصوا لها موظفين من المماليك يشرفون عليها[٣]، يعرف الواحد منهم بالجوكندار[٤]، وقد لعبها معظم سلاطين بني أيوب باعتبارها ضربًا من ضروب الترفيه والرياضة البدنية، يجدون في ممارسته الراحة والمتعة، وتزجية أوقات الفراغ، وتدريبًا على إتقان فنون الفروسية، وترويضًا للخيل، فكان نجم الدين أيوب (ت ٥٦٨ هـ/١١٧٢م) ـ والد صلاح الدين ـ يحب ركوب الخيل، كثير الركض بها، ولعًا بلعب

(١) الجَمَام: الرَّاحة، وجمَّ الفرس يَجِمُّ جَمًا وجَمامًا وأجم: تُرك فلم يركب، فعفا من تعبه، وذهب إعياؤه . ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، ج٦ باب: الجيم، مادة: جمم، ص٦٨٧ .

(٢) ابن الأثير: الباهر، ص١٦٤، ١٦٥، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٠٥ .

(٣) سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، سلسلة الألف كتاب، العدد ٢٢٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م، ص ١٣٠، ١٣١ .

(٤) الجوكندار: كلمة فارسية مركبة من لفظتين: إحداهما (جوكان) وهو المحجن الذي تضرب به الكرة، والثانية (دار) ومعناها ممسك، فيكون معنى الكلمة ممسك الجوكان، وهو لقب يطلق على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة .القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ٤٥٨، محمد أحمد دهمان: معجم الألفظ التاريخية، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠ م، ص٥٨ .

الكرة، بحيث يظن من يراه وهو يلعب بها وجواده يركض به كالعاصفة أنه "ما يموت إلا من وقوعه عن ظهر الفرس"، وقد كان سبب وفاته أنه ركب من داره وخرج من باب النصر[١] يريد الميدان للعب الكرة على جاري عادته، فشبَّ به الفرس فسقط على رأسه، فحمل إلى داره، فأقام ثمانية أيام ثم توفي في ذي الحجة سنة ٦٨ هـ [٢].

ويبدو مما جاء في المصادر المعاصرة أن صلاح الدين كان في فترة شبابه يكرِّس أوقاته لممارسة رياضة الكرة، حتى أصبح ماهرًا فيها، متفوقًا على أقرانه، فبرزت شخصيته الأمر الذي دفع نور الدين محمود ـ وكان ولعًا بهذه الرياضة ـ إلى إيثاره وتقريبه، فألحقه بخواصه المقربين، وكان لا يفارقه راكبًا في ميدانه ولا جالسًا في إيوانه، وكان يقضيان معا أوقات فراغهما في ممارسة هذه الرياضة [٣]، ومن العجيب أن ابن كثير ذكر صراحة إلى أن تقريب نور الدين لصلاح الدين كان من أهم أسبابه تفوقه وبراعته في لعب الكرة، وأشار إلى هذا بقوله : " ... وجعله من خواصِّه لا يفارقه حضراً ولا سَفَراً ؛ لأنه كان حسن الشَّكْل، حسن اللعب بالكرة، وكان نور الدين يحب لعب الكرة " [٤] .

لعب صلاح الدين في فترة شبابه الكرة كثيرا مع نور الدين، ومما يذكر أنه في إحدى المباريات عثر به جواده فسقط من فوقه، وهما يلعبان معًا في الميدان الأخضر بحلب في سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٧م، وكان العماد الأصفهاني من بين

(١) باب النصر: هو أحد أبواب القاهرة التي وضعها جوهر الصقلي، وهو في الجهة الشمالية ويجاوره باب الفتوح . المقريزي: الخطط، ج ٢، ص٥٥ .

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٨٧، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢١، ص١٨٧، أبو شامة: الروضتين ج٢ ص٢٤٨، ٢٤٩، ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٢٣٠ .

(٣) البنداري: سنا البرق، ص ١٦، أبو شامة: الروضتين، ج١، ص٣٢٠،الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٢، ص٨٩٣ .

(٤) البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٣٧٣، ٣٧٤ .

جمهور المتفرجين، فنظم قصيدة وصف فيها ما حدث، واعتذر لصلاح الدين عن هذه السقطة، وهنأه بنجاته، ومما جاء فيها :

لا تُنْكِرنَّ لسَابِحٍ عَثَرَتْ بـه ... قَدَمٌ وقد حَمَلَ الخِضَمَّ الزَّاخِرا

ألقى على السُّلطانِ طِرْفُك طَرْفَهُ ... فهوى هنالك للسَّلام مُبَادِرا

سَبَقَ الرِّياحَ بِجَرْيِهِ وكَفَفْتَهُ ... عنها فليسَ على خِلافِك قادِرا

ضَعُفَتْ قواه إذ تذكَّرَ أنَّهُ ... في السَّرْج منك يُقلُّ لَيْثًا خَادِرا

واسْلَمْ لنورِ الدِّين سلطانِ الورى ... في الحَادِثَاتِ مُعَاضِدًا ومُؤَازِرا [١]

لم يتوقف صلاح الدين عن ممارسة هذه الرياضة المحببة إلى قلبه عقب إصابته، وإنما زاده هذا الحادث إصرارًا على إتقانها والبراعة فيها، حتى لا يتكرر معه ما حدث، فثابر على إجادتها حتى أتقنها، وتفوق على أقرانه في لعبها، وعرف آدابها وشروطها المعتبرة، فتذكر المصادر المعاصرة أنه كان أثناء فترة وجوده بحلب سنة ٥٦٣هـ، يذهب مبكرًا كل يوم إلى الميدان الأخضر، وينتظر حضور نور الدين ليشاركه في لعب الكرة، وتوطدت العلاقة بينهما وأصبح موضع رضا نور الدين [٢]، فكافأه وأقطعه في تلك السنة ضيعتين: إحداهما من ضياع حلب، من ضياع كفر طاب [٣] .

(١) ديوان العماد، تحقيق: ناظم رشيد، جامعة الموصل ١٩٨٣، ص ١٥٨، أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص٣٠ .

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٣، ٢٤، أبو شامة: الروضتين ،ج ٢، ص ٣٦ .

(٣) كفر طاب: بلدة بين المعرة وحلب، في برية معطشة ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج . ياقوت: معجم البلدا ن، ج ٤، ص٤٧٠ .

وبعد أن غدا سلطانًا على مصر والشام لم يتوقف ـ رغم انشغاله بأمور الحكم والجهاد ـ عن ممارسة هذه الرياضة، وإنما أولاها عنايته، وخصص لها جزءًا من وقت فراغه، فكان يلعبها مع خاصته ومماليكه في الميادين المخصصة لها في مصر والشام، وقد أشار المقريزي إلى خروجه في سنة ٥٦٧ هـ /١١٧١ م من القاهرة بعد وصول الخلع والتشريفات إليه من دار الخلافة ببغداد، فركب بالخلع الخليفية، وسار في القاهرة فلما وصل إلى باب زويلة [١] نزعها وأعادها إلى داره، ثم توجه مع حاشيته ومماليكه إلى ساحة الميدان للعب الكرة [٢]، كما كان كثيرًا ما يذهب إلى بركة الجب خارج القاهرة للصيد ولعب الكرة، خرج إليها في المحرم من سنة ٥٧٧ هـ، وأقام بها للصيد ولعب الكرة ثم عاد بعد ستة أيام [٣] .

وكان صلاح الدين أيضا يمارس هذه الرياضة في ميادين دمشق في أوقات فراغه بعد عودته من ساحات المعارك، ولم يكتف بهذا بل شجع أبناءه وأمراءه على مزاولتها، وقد أشار ابن جبير إلى هذا بقوله : "وفي الجهة الغربية من البلد ميدانان ... يخرج السلطان (يقصد صلاح الدين) إليهما ويلعب فيهما بالصوالجة، ويسابق بين الخيل فيهما ... وفي كل ليلة يخرج أبناء السلطان إليهما للرماية والمسابقة واللعب بالصوالجة " [٤].

(١) باب زويلة: كان باب زويلة عندما بنى جوهر الصقلي القاهرة بابين متلاصقين في الجهة الجنوبية يقال لهما: بابا زويلة، ثم بنى بدر الجمالي باب زويلة الكبير في سنة ٤٨٥هـ . المقريزي: الخطط، ج ٢، ص٥٥، ٩٨.

(٢) المقريزي: المصدر السابق، ج ٢، ص٦١٤، السلوك، ج١، ق١، ص٤٦ .

(٣) المقريزي: المصدر السابق الجزء نفسه، ص ٧٥٣، السلوك، ج ١، ق١، ص٧١، ٧٢ .

(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٣٥ .

كما كان يمارس لعبها مع من يحضر إلى دمشق من ملوك الدول المجاورة، كمظهر من مظاهر الحفاوة والتكريم، وإمعانًا في إظهار حسن الترحيب والضيافة، كما حدث في سنة ٥٨٠ هـ عندما قدم إلى دمشق نور الدين محمد بن قرا أرسلان[١]، خرج لاستقباله، واحتفى به، واستصحبه إلى دمشق، " فأبدى بمتنزهاتها العشق، وأضافه وأزاره ... ولاعبه بالكرة في ميادينها، وداعبه بالطرف في بساتينها"[٢].

وكان العزيز عثمان بن صلاح سلطان مصر، لهجًا بممارسة هذه الرياضة، وقد اعتاد الخروج إلى بركة الجب للصيد ولعب الكرة [٣]، كما كان الظاهر غازي بن صلاح الدين سلطان حلب يجيد رياضة الكرة، ويمارس لعبها في الميادين المخصصة لها بحلب مع أمرائه وقواد عسكره، وخاصة في أيام الأعياد والاحتفالات الخاصة، كما حدث عندما احتفل في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م بمولد ابنه الملك الصالح أحمد، حيث سر بمولده سرورًا عظيمًا، وزين البلد والقلعة، وخرج مع مماليكه وأمرائه وهم في أجمل هيئة وزي إلى ميدان باب الصغير بجوار قلعة حلب، وشاركهم في لعب الكرة احتفالا بهذه المناسبة السعيدة [٤] .

وكان الملك الكامل محمد والأشرف موسى ابنا العادل الأيوبي يجيدان هذه الرياضة ويمارسان لعبها معًا عند اجتماعهما سواءً في مصر أو دمشق بقصد

---

(١) هو نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق، أمير حصن كيفا وغيره من ديار بكر، ولما فتح صلاح الدين آمد في سنة ٥٧٩ هـ أعطاها له، تحالف مع صلاح الدين في حروبه مع الصليبيين، توفي سنة ٥٨١هـ /١١٨٥م . البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٧٤ ـ ١٧٦، أبو الفدا: المختصر، ج٣، ص٨٩ .

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٤٠ .

(٣) المقريزي: الخطط، ج ٢، ص٧٥٣ .

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص ٤٤٦ .

الترفيه والمتعة وقضاء الوقت، وقد شاهدهما ابن خلكان[١] في سنة ٦٣٣هـ /١٢٣٥ م، وهما يلعبان معًا في الميدان الأخضر بدمشق في شهر رمضان ؛ لإلهاء النفس عن الفكر في طول نهار الصوم برمضان، وتزجية لأوقات الفراغ، وأشار إلى هذا بقوله: " رأيت الكامل والأشرف يركبان معًا، ويلعبان بالكرة في الميدان الأخضر الكبير كل يوم، وكان شهر رمضان، فكانا يقصدان بذلك تعبير(تقضية) النهار لأجل الصوم ".

أما الملك الصالح نجم الدين أيوب فكان ولعًا برياضة الكرة والصولجان[٢]، وقد حمله ولعه بلعبها أن شيد برسمها ميدانًا جديدًا على شاطئ النيل بأرض اللوق[٣]، سمى بالميدان الصالحي نسبة إليه، كان يركب إليه مع خواصه ومماليكه ويلعب فيه بالكرة"[٤] ولم يكتف بولعه بلعبها، بل ذهب أبعد من ذلك فكان يشجع على نشر هذه الرياضة بين خواصه ومماليكه، ونصح ابنه المعظم تورانشاه ألا يستخدم إلا من يعرف اللعب بالرمح على الفرس، ويرمي بالنشاب والأكرة، وتظهر فروسيته[٥].

مارس سلاطين بني أيوب لعب الكرة وأصبحت رسمًا من رسوم السلطنة في عهدهم، ووسيلة من وسائل الترفيه، وقد لعبها بعضهم في بعض الأحيان تعبيرا عن

(١) وفيات الأعيان، ج ٥، ص٣٣٣ .

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص٥٧٧، المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص٣٤١ .

(٣) اللوق: هي الأرض اللينة، وقد أطلق هذا الاسم على الجهة التي انحسر عنها ماء النيل من ساحل المقس إلى منشأة المهراني بالقاهرة، وعرفت تلك الناحية باسم باب اللوق، وهو باب الميدان الصالحي . المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٦٣٥، ٦٣٦ .

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٦، ص ٨٥، المقريزي: الخطط، ج٣، ص٢٦، السلوك: ج١ ق٢، ص ٣٤١.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ص٢٢٦، أحمد عبدالرازق: وسائل التسلية، ص١٠٦ .

فرحه بأمر ما، كما حدث من الملك المجاهد [١] صاحب حمص (٥٨١ . ٦٣٧هـ/ ١١٨٥- ١٢٣٩م) فقد كان خائفا من الكامل محمد بسبب اتفاقه مع الأشرف موسى عليه، وكان يتوقع وصوله إلى بلاده لأخذها منه، فلما وصله خبر وفاته في سنة٦٣٥ هـ، سر سرورًا عظيمًا، وركب هو وأولاده إلى الميدان بحمص، ولعب معهم الكرة وهو في سن السبعين [٢]. وفي هذا دليل على أنه لم تكن هناك سن محددة لممارسة لعب الكرة .

ومن مظاهر اهتمام سلاطين بني أيوب برياضة الكرة وشغفهم بها، حرصهم على إنشاء الميادين المخصصة لها في مصر والشام، ومن أهمها في مصر: ميدان الرميلة[٣]. وميدان بهاء الدين قراقوش [٤] بناه في عهد صلاح الدين خارج باب

(١) المجاهد: هو شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي، ولد بمصر سنة ٥٦٩ هـ، ولاه صلاح الدين حمص بعد موت أبيه في سنة ٥٨١ هـ، فملكها ستا وخمسين سنة، وكان من أحسن الملوك سيرة، لا يشرب الخمر، ويلازم الصلوات في أوقاتها، طهَّر بلاده من الخمر والمكوس، توفي سنة ٦٣٧ هـ . ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص٢٥٤ . ٢٥٦، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ١٧٦، الحنبلي: شفاء القلوب، ص٢٨٦.

(٣) ميدان الرميلة: يقع أسفل القلعة، أطلق عليه عدة أسماء منها: ميدان صلاح الدين، وميدان القلعة، وميدان المنشية، وقد كان في الأصل من بقايا ميدان أحمد بن طولون، فجدده الملك الكامل في سنة ٦١١ هـ، وعمَّر إلى جانبه ثلاث برك لسقيه وأجرى إليها الماء، ثم تعطل مدة، واهتم به الملك العادل الثاني، كما اهتم به الملك الصالح نجم الدين وجدد له ساقية، وغرس حوله الأشجار، ولما توفي الصالح نجم الدين تلاشى أمره إلى أن هدمه السلطان المعز أيبك سنة ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣م . ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص ١٣٢، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٣، ص ٣٧٧، ٣٧٨ المقريزي: الخطط ج ٣، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٤) قراقوش: هو أبو سعيد قراقوش بن عبدالله الأسدي، كان مملوكًا لأسد الدين شيركوه فاعتقه، ولما توفي شيركوه اتصل بخدمة صلاح الدين فوثق به واعتمد عليه، وكان له دور كبير في تثبيت أركان حكمه، وناب عنه في حكم مصر مدة، وعهد إليه ببناء قلعة الجبل، والسور المحيط بالقاهرة والفسطاط، وبنى قناطر الجيزة على طريق الأهرام، ثم ولاه حكم عكا وعهد إليه بترميم أسوارها، توفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢٢ ص ١١٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤، ص ٩١، ٩٢ .

الفتوح [١]، والميدان الصالحي الذي أنشأه الصالح نجم الدين أيوب .

كما وجدت الميادين المخصصة لألعاب الفروسية، ومن بينها رياضة الكرة والصولجان في بلاد الشام ومن أهمها : الميدان الأخضر، وميدان الحصى بدمشق، وقد مر معنا أن صلاح الدين كان يخرج إليهما ويلعب فيهما الكرة والصولجان، كما كان أبناؤه يخرجون إليهما كل ليلة للرماية والمسابقة واللعب بالصوالجة [٢] كما كان يخرج إليهما أهل دمشق في يوم السبت من كل أسبوع، وهو يوم عطلتهم الأسبوعية، ويمارس بعضهم ممن يمتلكون الخيول المدربة من الفرسان والمماليك لعب الكرة والصولجان [٣]، ومنها أيضا : ميدان باب الصغير [٤] بجوار قلعة حلب[٥]، والميدان الأخضر في ظاهر مدينة حلب، وقد جدده الظاهر غازي بن صلاح الدين [٦]، وغيرها من ميادين بلاد الشام مما لا يتسع المجال لذكره .

وقد تجلى شغف سلاطين بني أيوب برياضة الكرة بوضوح على المنتجات الفنية وما تضمنته من نقوش ورسوم لمناظر رياضة الكرة، فلم يقتصر الشغف بهذه الرياضة على السلاطين والأمراء، وإنما تعداهم إلى الفنانين والمصورين الذين

(١) المقريزي: الخطط ج ٣، ص ٢٦، ظل هذا الميدان مخصصا للعب الكرة، حتى أمر الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٥هـ ببناء جامعه على جزء منه، وأوقف بقية الميدان عليه . المقريزي: الخطط ج ٣، ص ٢٧٨، ٢٧٩ .

(٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ٢٣٥ .

(٣) ابن سعيد: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار المعارف، القاهرة بلا تاريخ، ص ١٤٣.

(٤) باب الصغير: هو أحد أبواب حلب، وهو في الجهة الشرقية منها، وهو الباب الذي يخرج منه من تحت قلعة حلب إلى دار العدل . ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج ١، ق ١، ص٢١ .

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب، ص٤٤٦ .

(٦) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ج١، ق ١، ص١٦٧ .

حرصوا على رسم مناظر هذه الرياضة على منتجاتهم الفنية، وبصفة خاصة على التحف المعدنية، فظهرت رسوم هذه الرياضة بجلاء على الطسوت، والأباريق المعدنية ومنها : إبريق معدني[١] يحوي القسم الأسفل من السطح الخارجي منه مناظر لعبة الكرة والصولجان، يظهر فيها أشخاص يمتطون صهوة جيادهم، ويمسكون بأيدهم الجوكان ليضربوا به الكرة، وهم يتبادلون الأوضاع من قذف للكرة، ثم الجري وراءها في سرعة فائقة لملاحقتها، كما يظهر في الرسم المنافسة الشديدة بينهم في حركاتهم وحركات جيادهم [٢] .

كما رسمت مناظرها على طست من النحاس المكفت بالفضة باسم الملك الصالح نجم الدين أيوب [٣]، حيث تزين سطحه الخارجي رسوم مختلفة من بينها رسوم تمثل رياضة الكرة والصولجان، وتتألف من صور لمجموعة من الفرسان يمتطون صهوة جيادهم، وبأيدي كل منهم عصا طويلة، يقاذفون بها الكرة في الهواء من فوق ظهور الخيل التي تبدو في حالة ركض [٤]، كذلك تظهر رسوم هذه هذه الرياضة على طست من البرونز المكفت بالفضة باسم الملك الصالح نجم الدين[٥]، حيث يزين سطحه من الداخل بعض الرسوم التي تشير إلى هذه الرياضة،

(١) يحمل هذا الإبريق اسم إبراهيم بن مواليا، وهو محفوظ بمتحف اللوفر بباريس رقم ٣٤٣٥ K . عبد العزيز صلاح سالم: الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج١، ص٢٥٠ .

(٢) عبد العزيز صلاح سالم: المرجع السابق نفسه .

(٣) محفوظ بمتحف الفرير جاليري بواشنطن . عبد العزيز صلاح سالم: المرجع السابق ج ١ ص ٢٥١.

(٤) أحمد عبدالرازق: وسائل التسلية ص١٠٦ .

(٥) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة رقم ١٥٠٤٣. عبد العزيز صالح: المرجع السابق ج ج ١، ص ٢٥٠ .

الرياضة، ومنها رسم لفارس يمتطي صهوة جواده وهو ينظر أمامه، ويمسك في يده اليمنى بعصا طويلة ترمز إلى الجوكان [١] .

ومن الجدير بالذكر أنه كان للشعر في هذا العصر ـ وهو مرآة المجتمع في كل عصر ـ دوره أيضا في وصف هذا اللون من الرياضة البدنية، حيث قام الشعراء بوصف هذه الرياضة، ومدحوا المجيدين لها، فعلى سبيل المثال : يعطينا ابن الساعاتي (ت ٦٠٤ هـ /١٢٠٧م) [٢] تصويرًا دقيقا لطريقة اللعب من خلال وصفه لفتى يدعى (سليمان) كان ماهرًا في اللعب بالصوالجة، فيصف كيفية مسكه للصولجان وهو كالهلال، وقيامه بحركات المراوغة والمدافعة، وتمرير الكرة وتصويبها بقوله :

ولقد بدا والصَّوْلَجَانُ بكفِّه ... والأرضُ في حُللٍ لها وبُرودِ

فعجبتُ من طَوْعِ الكُرِينَ بنانَهُ ... في حَالةِ التَّصْويبِ والتَّصعيدِ

كالشمسِ يحملُ الهلالَ دَحَا به ... بعضَ الكوكبِ في سماءِ البيدِ [٣]

(١) أحمد عبدالرازق: وسائل التسلية، ص١٠٧، عبد العزيز صالح: المرجع السابق ج ١، ص ٢٥٠ .

(٢) ابن الساعاتي: هو أبو الحسن على بن محمد بن رستم، شاعر خراساني الأصل، ولد بدمشق وأخذ عن علمائها، وقرأ كثيرا من دواوين الشعر، وأجاد فنونه، وصار من كبار الشعراء، قضى معظم حياته في دمشق ثم انتقل منها إلى مصر، واتصل ببعض ملوك بني أيوب ومدحهم، توفي بمصر سنة ٦٠٤ هـ . ابن سعيد: الغصون اليانعة، ص ١١٨ ـ ١٣٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣، ص٣٩٥، ٣٩٦، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط ١، دار ابن كثير، دمشق ١٩٩١م، م٧، ص٢٦، ٢٧ .

(٣) ديوان ابن الساعاتي، تحقيق: أنيس المقدسي، المطبعة الأميركانية، بيروت ١٩٣٨م، ج١ ص ١٤٨.

ولعل في هذا إشارة إلى أن لعبة الكرة والصولجان لم تكن مقتصرة على الحكام والأمراء، وإنما كان يمارسها أيضا بعض الفتيان ممن يتصلون بخدمتهم.

ومن هذا العرض يتضح لنا أن رياضة الكرة انتشرت بصورة كبيرة، ومثلت جزءًا مهمًا في حياة رجال الطبقة العسكرية من السلاطين والأمراء والجنود في هذا العصر، وأنها كانت لونًا من ألوان التسلية والترفيه، وجد فيه رجال هذا الطبقة مجالا رحبًا للراحة والمتعة، ومتنفسًا لما عانوه من ويلات الحروب وهموم الحياة، وأن ممارستها لم تكن لمجرد الترفيه وتزجية أوقات الفراغ فحسب، وإنما كانت رياضة بدنية يروضون بها أجسامهم وخيولهم .

المبحث الثالث
الرياضات والألعاب الأخرى

إلى جانب رياضة الصيد وألعاب الفروسية مارس سلاطين بني أيوب وبعض أبناء المجتمع المصري والشامي رياضات بدنية وذهنية أخرى، لا تحسنها إلا أمم ذات قدر عال في مضمار المدنية والرقي، وقد مثلت هذه الرياضات وجهًا مضيئًا من وجوه المسرات التي كانت تجري في أوقات الفراغ، ومن أهم هذه الرياضات والألعاب :

ـ المصارعة :

تعد المصارعة من الألعاب الرياضية الترويحية المهمة، وهي رياضة بدنية تمنح الفرد القوة والشجاعة وتعلمه فن الدفاع عن النفس، وقد رخص فيها الشارع بلا عوض ؛ إذ ليس في ممارستها مفسدة راجحة، و لما فيها من إجمام النفس وراحتها [١] .

انتشرت رياضة المصارعة في العصر الأيوبي، ومارسها بعض أفراد المجتمع المصري والشامي، ووضعت لها الأنظمة والقواعد، وهذا الضرب من ضروب الرياضة كانت تجري ممارسته في بعض الأحيان في ساحات المعارك عندما يتوقف القتال كضرب من ضروب الترفيه عن الجنود، وطلبًا للمتعة والراحة، وتخفيفًا من عناء الحروب وويلاتها، كما حدث في سنة ٥٨٥هـ /١١٩٠م أمام أسوار عكا عندما طال أمد القتال بين المسلمين والصليبيين، ولم تسفر المواجهات عن نتيجة ما، سئم الجنود القتال، وكانوا قد أنس بعضهم ببعض لطول المعاشرة، فكانوا يتركون القتال وينصرفون إلى ممارسة بعض ضروب الترفيه من الغناء والرقص،

(١) ابن القيم: الفروسية، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن، دار الأندلس للنشر، الطبعة الثانية، السعودية ١٩٩٦م، ص١٧٢ .

وطلب الصليبيون من المسلمين أن يصطرع صَبيَّان: صبي منهم وصبي من المسلمين، فخرج صَبيَّان من أهل عكا لمصارعة صبيين من الصليبيين، واشتدت الحرب بين الصبيين، فوثب أحد الصبيين المسلمين إلى أحد الصبيين الصليبيين فاحتضنه وضرب به الأرض، وقبضه أسيرًا، واشتد به ليأخذه فاشتراه منه بعض الفرنج بدينارين، "وقالوا له هو أسيرك حقًا، فأخذ الدينارين وأطلقه" (١) .

كما كانت تجري ممارستها أثناء الاحتفالات العامة والخاصة، فيذكر ابن إياس في حوادث سنة ٥٨٨هـ /١٢٩٢م أن صلاح الدين عاد إلى دمشق بعد غيبة طويلة، فلما دخلها نزل بالميدان الأخضر وجلس به في احتفال كبير، وجاءت إليه أرباب الملاعب من المصارعين والمثاقفين وغير ذلك(٢) .

وقد انعكس الاهتمام برياضة المصارعة على المنتجات الفنية وبصفة خاصة على التحف المعدنية الأيوبية، حيث قام الفنانون برسم مناظر المصارعة على بعض التحف المعدنية، فنقشت مناظر المصارعة على السطح الخارجي لطست الملك العادل الثاني، ومن بينها منظر للمصارعة بين رجلين ارتدى كل منهما سروال المصارعة، وقد أمسك أحدهما بالآخر ويحاول أن يطرحه أرضًا، بينما يحاول الآخر الإفلات من هذا الوضع، ويقاوم بشدة خشية الانبطاح على الأرض(٣).

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القيسي، ص١٦٦، ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٧٠، أبو شامة: الروضتين ج ٤، ص٨٢، ٨٣ .

(٢) بدائع الزهور ج ١، ق١ ،ص ٢٤٥ .

(٣) عبد العزيز صلاح سالم: الفنون الإسلامية ج،١ ص ١٤٧، ص ٢٥٣، انظر: ملاحق البحث ملحق رقم ٣ .

- السباحة :

من وسائل الترفيه التي عرفها الإنسان منذ القدم، لاسيما عند من يقطنون قرب الأنهار والبحيرات وسواحل البحار، وجاء الإسلام فأقرها ودعا إلى ممارستها وتعلمها، وقد ورد في كتب السيرة الصحيحة أن النبي ـ ﷺ ـ لما بلغ السادسة من عمره خرجت به أمه إلى زيارة أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة، وأنه ﷺ كان يذكر أمورًا قام بها أثناء مقامه عند أخواله، ومنها : أنه أحسن العوم في بئر بني عدي بن النجار[١]، ثم انتشرت السباحة بعد ذلك في العصرين الأموي والعباسي، وتبارى الشباب في تعلمها والبراعة فيها .

أما في العصر الأيوبي فقد كانت من الرياضات المحببة إلى كثير من الناس، وحرص أبناء المجتمع المصري والشامي على تعلمها وإتقان فنونها، ولم يقتصر الاهتمام بها على الكبار فقط، وإنما حرص الأطفال أيضا على تعلمها، وقد مارس بعض أبناء المجتمع المصري السباحة في نهر النيل كرياضة بدنية ووسيلة من وسائل الترفيه في أوقات فراغهم، وكانت تقام مسابقات للسباحة في أثناء الاحتفال ببعض المناسبات العامة، فعلى سبيل المثال جرت العادة في مصر منذ القدم بالاحتفال بوفاء النيل، وظلت هذه العادة بعد الفتح الإسلامي، وفي العصر الأيوبي كان للمصريين في كل عام يوم يسمونه يوم التخليق، وقد جرت العادة فيه أن يركب السلطان في حاشيته وأمراء دولته بكامل هيئتهم وزينتهم في موكب رسمي لتخليق المقياس [٢] عند وفاء النيل احتفاءً بوفائه، وبعد انتهاء مراسيم التخليق يُمد سماط كبير يأكل منه جميع

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠١ م، ج ١ السيرة النبوية، ص ٩٥ .

(٢) تخليق المقياس: التخليق هو التعطير بالرائحة المسماة (خلوق) ومعنى تخليق المقياس: تعطير عمود المقياس بالروضة ومسحه بالزعفران عند وفاء النيل، وارتفاع منسوب المياه إلى ستة عشر زراعًا . القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص٤٧، ٤٨، وعن خروج سلاطين بني أيوب لتخليق المقياس انظر: المقريزي: السلوك ج١، ق١، ص٧٣، ١٣٦، ١٤٢ .

المشاركين في الموكب، ويُقام احتفال كبير بهذه المناسبة، يحضره السلاطين والأمراء والعامة، وفي هذا الاحتفال كان يتم تقديم بعض الأنشطة الترويحية، ومن بين هذه الأنشطة إقامة مسابقات للسباحة في هذا اليوم، وهذه المسابقات كان يشترك فيها السباحون من فتيان القاهرة والفسطاط، ولم تكن تجري بين الفتيان فقط، وإنما كان يشترك فيها الكهول [١] .

كما كان الأطفال والكبار يمارسون رياضة السباحة في نهر النيل عند الاحتفال بفتح خليج القاهرة [٢]، وقد جرت العادة منذ العصر الفاطمي أن يركب الخليفة في

---

(١) أشار إلى هذا الشاعر علم الدين أيدمر المحيوي(ت ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م) في قصيدة له ألقاها أثناء احتفال الملك الصالح نجم الدين أيوب بتخليق المقياس، ووصف فيها الأبنية التي أنشأها بجزيرة الروضة، وذكر جلوسه لتخليق المقياس عند وفاء النيل، وما كان يجري أثناء هذا الاحتفال من مسابقات بين السباحين بقوله:

يومٌ تجَلَّى الدهر فيه بزينةٍ ... لمَّا غَدَا المقياسُ وهو مخلَّقُ

هو ثالثُ العيدين إلا أنَّهُ ... لِلَّهو ليسَ على العبادة يُطلقُ

جُمِعَتْ لمشهدهِ خلائقُ غادرت ... فيه رحيبَ البَرِّ وهوَ مضيَّقُ

وعلى عُبَابِ البَحر من سُبَّاحهِ ... أممٌ يغصُّ بها الفَضَاءُ ويشرقُ

كادت تبين لهم على صفحاتِهِ ... طُرُقٌ ولكن يفتقون ويَرتُقُ

خفَّت جسومُهُمُ لفرط صَبَابَةٍ ... هَزَّت إليكَ فما خَشَوا أن يغرَقُوا

انظر: مختار ديوان أيدمر المحيوي، تحقيق: أحمد نسيم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣١ م، ص ٦، ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت ١٨٩٣م، ج١ ص ١١٢.

(٢) خليج القاهرة: يقع هذا الخليج في شمال الفسطاط، وهو خليج قديم حفره بعض ملوك مصر، وجدده عمرو بن العاص . ﷺ . بإشارة من عمر بن الخطاب . ﷺ . في عام الرمادة، وكان يعرف بخليج أمير المؤمنين، وخليج مصر، فلما بنى جوهر الصقلي مدينة القاهرة في شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة . المقريزي: الخطط ج ٢، ص ٦٩١، السيوطي: حسن المحاضرة في في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٨ م، ج ٢، ص ٣٨٧ .

موكب رسمي في اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق لفتح الخليج، ويخرج الناس لمشاهدة هذا الموكب، واستمر هذا التقليد في العصر الأيوبي(١)، فكان سلاطين بني أيوب يخرجون في موكب عظيم لفتحه، ويخرج عامة أهل القاهرة للمشاهدة والاحتفال بهذه المناسبة، ومن بين الأنشطة التي كانت تقام في هذا الاحتفال إقامة مسابقات بين السباحين من الشباب والكهول، كما كان الأطفال يمارسون رياضة السباحة في نهر النيل بالقرب من مكان فتح الخليج، وقد غدت ممارستهم لها في هذه المناسبة موضوعًا يطرقه الشعراء بالقول، وقد أشار إلى هذا الأسعد بن مماتي(٢) حيث وصف الخليج يوم فتحه بقوله :

خَليجٌ كالحُسامِ لهُ صِقَالٌ ولكن فيهِ للرائي مَسرَّة

رأيتُ به الصِّغار تُجِيدُ عَوْمًا كأنَّهُمُ نُجُومُ في المجَرَّة (٣)

(١) عن خروج سلاطين بني أيوب إلى الخليج لفتح السد . انظر: المقريزي: الخطط ج٢، ص ٣٤٣، ٦٩٩، ٧٠٠، السلوك ج١، ق١، ص٧٣، ١١٩، ١٣٦، ١٤٢، المقفى الكبير ج ٤، ص ٨٥ .

(٢) ابن مماتي: هو أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مينا، كاتب وشاعر مصري، ولد سنة ٥٤٤ هـ، كان آباؤه من نصارى أسيوط، انتقلوا إلى القاهرة وعملوا في دواوين الدولة الفاطمية، تولى الأسعد بن مماتي ديوان الجيش في عهد صلاح الدين وابنه العزيز، ثم أضيف إليه ديوان المال، ولما ولي ابن شكر الوزارة في عهد العادل، نكبه لخصومة قديمة كانت بينهما، فهرب من مصر إلى حلب فأكرمه سلطانها الظاهر غازي، وتوفي بها سنة ٦٠٦هـ . العماد: خريدة القصر(قسم شعراء مصر) ج ،١ ص١٠٠ـ ١١٣، ياقوت: معجم الأدباء ج ٢ ، ص٦٣٥ ـ ٦٤٥، ابن الشعار: قلائد الجمان ج ١، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٢ .

(٣) العماد: الخريدة، قسم شعراء مصر ج١، ص١٠١، ابن العديم: بغية الطلب ج٤، ص ١٥٦٢، ١٥٦٤.

كما اعتاد الدمشقيون وخاصة الأطفال منهم على السباحة في أنهار دمشق، وقد شاهد ابن خلكان بعض الأطفال وهم يلهون ويسبحون في نهر ثَوْرَا [١] فوصفهم بقوله :

وسربِ ظباءٍ في غديرٍ تَخَالُهُمْ ... بدُورًا بأُفْقِ الماءِ تَبْدُو وتَغربُ

يقولُ خليلي والغرامُ مُصَاحِبِي ... أما لَكَ عن عَهْدِ الصبَابَةِ مذْهبُ

وفي دمك المطلولِ خَاضُوا كما تَرى ... فقلت له دَعْهمْ يخوضُوا وَيَلعبوا [٢]

ويتضح مما ورد في المصادر المعاصرة أن هذه الرياضة قد استهوت بعض أبناء المجتمع المصري والشامي، فشغفوا بها وأقبلوا على إتقان فنونها، فانبروا يتعلمون السباحة ويجودون فيها، وكان يستعان بالسباحين المهرة في الحرب والجهاد، فعندما حاصر الفرنج مدينة عكا سنة ٥٨٥هـ /١١٨٩م برًا وبحرًا، واشتدوا في حصارها وضيقوا عليها الخناق، وانقطعت أخبارها عن صلاح الدين، ندب أقواما للسباحة وأعطاهم المال في أوساطهم، والطيور في أعنابهم، فكانوا يسبحون في الماء ويتصلون بحامية عكا، وقد فطن الفرنج لهؤلاء السباحين، وحاولوا أن يفسدوا على المسلمين طريقتهم في الاتصال بحامية المدينة، فنصبوا الشباك في البحر، فكان إذا خرج سبَّاح وقع فيها، فامتنع السباحون وأحجموا عن المخاطرة بأرواحهم[٣].

(١) نهر ثَوْرَا: هو أحد فروع نهر بَرَدَى، يقع إلى الشمال منه، يسقى بساتين دمشق ومزروعاتها، وينعت بأنه نيل دمشق . ياقوت: معجم البلدان ج١، ص ٣٧٨، القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص ٩٦ .

(٢) الكتبي: فوات الوفيات ج ١، ص ١١٤، الصفدي: الوافي بالوفيات ج ٧، ص ٢٠٤ .

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٢١، ص ٣٧٩، الحنبلي: شفاء القلوب ص ١٧٢ .

وقد اشتهر من السباحين المهرة سبَّاح مسلم يدعى عيسى العوام، وهب نفسه للجهاد، واعتمد عليه صلاح الدين في بعض الأعمال المخابرتية، وقام بدور كبير أثناء حصار الصليبيين لمدينة عكا سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م، فكان يشد على وسطه الرسائل والأموال للحامية العسكرية ثم يسبح ويغوص في الماء ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو، ويدخل إلى عكا ليلا على غرة من العدو لإيصال توجيهات صلاح الدين والنفقات للحامية العسكرية، وعند وصوله كانوا يطلقون طائرا لإعلام صلاح الدين بسلامة وصوله، وقد استشهد أثناء قيامه ببعض المهام الاستخباراتية [١].

ومن السباحين المهرة الذين اشتهروا في هذا العصر علم الدين شمايل[٢]، الذي قام بدور كبير في اتصال الملك الكامل بأهل دمياط بعد أن حاصرهم الفرنج أثناء الحملة الصليبية الخامسة (٦١٥ . ٦١٨ هـ / ١٢١٨ـ ١٢٢١ م) ومنعوا عنهم وصول الرسائل والأقوات، فكان يخاطر بنفسه ويسبح في النيل ليلا بين مراكب الفرنج، ويدخل إلى دمياط فينقل لأهلها رسائل السلطان، ويعدهم بقرب وصول النجدة لفك الحصار عن البلد، ثم يأتي إلى السلطان سباحة ويعلمه بأخبار أهلها،

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ٢٠٦، ٢٠٧، ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ م، ص ١٦٥، العيني: عقد الجمان ج٢، ص١٥٦ .

(٢) هو علم الدين شمايل، من فلاحي بعض قرى حماة، خدم في ركاب الملك الكامل محمد، ورقاه أمير جاندار، ثم جعله واليًا على القاهرة، تنسب إليه خزانة شمايل بجوار باب زويلة، من سجون مصر في العصر المملوكي، وقد كانت من أشنع السجون وأقبحها منظرًا . ابن أيبك: كنز الدرر ج ٧، ص٢٠٠،٢٠١، المقريزي: الخطط ج ٢، ص ٣١٨ .

وقد أعجب به الكامل وبجرأته فشمله بعنايته، وجعله أمير جاندار[١]، ثم ولاه على القاهرة [٢] .

ـ لعبة الشلاق [٣] :

من الألعاب العنيفة التي انتشرت بين الأوساط الشعبية في العصر الأيوبي، فقد جرت عادة أهل حلب كما ذكر القزويني على الخروج إلى ظاهر المدينة في أول فصل الربيع من كل عام، وهم فرقتان تتقاتلان أشد القتال، حتى تنهزم إحدى الفرقتين فيقع فيهم القتل والجرح والكسر والتعب [٤].

ولم تكن هذه اللعبة منتشرة بين أهل حلب فقط، وإنما انتشرت أيضا بين عامة دمشق، ولم تقتصر ممارستها على العامة، وإنما كان يشاركهم المماليك اللعب في بعض الأحيان، ويبدو أنها بلغت درجة كبيرة من الانتشار، فلم يكن يقبل على مشاهدتها العامة فقط، وإنما كان بعض سلاطين بني أيوب يقبلون على مشاهدتها، فقد ذكر الذهبي في حوادث سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م أن السلطان الصالح نجم الدين

---

(١) الجاندار: كلمة مركبة من لفظين (جان) بمعنى سلاح، و(دار) بمعنى ممسك ، أي ممسك السلاح، وهو لقب موظف من العصرين الأيوبي والمملوكي، من أمراء الطبلخاناة، مهمته تنظيم دخول الأمراء على السلطان، وتقديم البريد له مع الدوادار وكاتب السر . القلقشندي: صبح الأعشى ج ،٤ ص ٢٠، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٥١ .

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ،٤ ص ١٩، ٢٠، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات م٥، ج ١ ص ٢٥٣ .

(٣) الشلاق: هو المراماة بالأحجار، ويسميه الفقهاء المداحاة، والعوام الشلاق . الدميري: النجم الوهاج في شرح المنهاج، دار المنهاج، الطبعة الأولى، جدة ٢٠٠٤م، ج ٩(كتاب المسابقة والمناضلة) ص٥٨٧ .

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٨٤ .

أيوب (ت ٦٤٧ هـ) أمر بأن يعمل له أُشلاق في الميدان الأخضر تحت قلعة دمشق ليتفرج عليه، فتشالق العوام وشاركهم المماليك في اللعب، فقتل سبعة أنفس، وجرح جماعة، فأمر بمنعه ؛ بسبب ما كان يترتب عليه من شر كثير ومفاسد [١].

وهذه الرياضة نظرًا لعنفها كان يترتب على ممارستها خسائر في الأرواح وإصابات خطيرة بين المشاركين فيها، بل ولم يقتصر الأمر على وقوع الإصابات بين المشاركين فقط، وإنما كانت تقع إصابات بين جمهور المشاهدين في بعض الأحيان[٢].

ـ لعبة الشِّطْرَنْج [٣] :

لم تقتصر الألعاب التي عرفها المسلمون في العصر الأيوبي على الألعاب المعتمدة على القوة البدنية فقط، وإنما عرفوا صنوفًا من الرياضات الذهنية يأتي في مقدمتها لعبة الشِّطْرَنْج، وقد أخذها المسلمون عن غيرهم من الأمم التي اختلطوا

---

(١) تاريخ الإسلام ج ١٤ ص ٣٦١ .

(٢) أشار ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م) في مقطوعة شعرية له يتغزل فيها بغلام حضر حومة الشلاق فأصابه حجر فكسّرت أسنانه بقوله:

نثرَ الدّهرُ عِقْدَ ثَغْرِ حبيبي ... فدُموعِي عليه تحكي انتثارَهْ

كلُّ سِنّ كالأقحوانة كانت ... فَغَدَتْ بالدِّماءِ كالجُلِّنارَهْ

كان في حَوْمة الشّلاق وما كا ... ن بعيدًا في جُمْلة النَّظَّارَهْ

فأتته الأحجارُ شَوْقًا وزَارتْـ ... ـهُ فلا مَرْحَبًا بتلك الزِّيارَهْ

. انظر: ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٩م، ج ٢ ص ٤٠٣، ابن الشعار: عقود الجمان م٧ ، ج ٩، ص ١٢٦.

(٣) الشِّطْرَنْج . بفتح الشين وكسرها لغتان والكسر أجود . كلمة فارسية معربة وأصلها (شش رنك) ومعناها ستة ألوان، حيث إنه مكون من ستة أصناف من القطع يلعب بها، وهي: الشاه (الملك) والفرزان (الوزير)، والفيل والفرس، والرُّخّ (القلعة) والبيدق (الجندي) . القلقشندي: صبح الأعشى ج ٢، ص ١٤١، ١٤٢ .

بها، فقد وضعها حكماء الهند، ثم انتقلت إلى الفرس، ثم أخذها العرب عن الفرس، وهي لعبة بين شخصين تتكون من رقعة مربعة الشكل، تتألف من ثماني خانات طولا وعرضًا، رسم عليها أربعة وستون مربعًا ملونين بلونين مختلفين أحدهما فاتح والآخر داكن، يلونان هذا المربعات بالتبادل، جعلوا فيها ثماني قطع ومثلها من البيادق، وأجلسوا الملك والوزير في القلب، وأوقفوا فيلين على الميمنة والميسرة، وجعلوا بجانبهما حصانين من الجانبين، كما جعلوا الرخين في الزاويتين، وضعوا أمامهما صفًا من العساكر، وعلى هذا يستعد الجانبان للمبارزة (١) .

وتعد لعبة الشَّطْرَنْج رياضةً ذهنيةً ترويحيةً تنشط الفكر وتزيد الانتباه، كما أنها تعلم فنون القتال، فهي ساحة معركة تحتاج إلى إتقان فنون القتال من الكر والفر، ورسم الخطط وتنفيذها، وقد وصفها العمري(٢) بقوله :" معركة لا تُطل فيها الدماء، وميدان خيل لا تجري فيه الشهباء ولا الدهماء، قد قرنت رخاخه، ونصبت للخيل فخاخه، وامتدت أسوار بيادقه، وقعدت شاهاته الملوك على نمارقه، وأوسعت فيه الأفكار المجال، وأتت فيه بغرائب البداية والارتجال " .

ولما كان العصر الأيوبي عصر حروب وجهاد كان طبيعيًا أن تنتشر هذه الرياضة العقلية شبه العسكرية بين مختلف طبقات المجتمع، وأن تنال حيزًا من اهتمام الناس باعتبارها وسيلة للتسلية وإعمال الفكر، فشغف بها بعض السلاطين والأمراء والتجار والفقهاء وغيرهم، فكان صلاح الدين يجيد اللعب بالشطرنج، ويمارسه في بعض الأحيان كضرب من ضروب التسلية والترويح عن النفس، ولا يرى حرجًا في لعبه مع خواصه وبعض المقربين منه من الأمراء والعلماء والأدباء

(١) عطية القوصي: المسلمون والشطرنج دراسة تاريخية، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥ م، ص ٥، ٩، لطفي أحمد نصار: وسائل الترفيه في العصر المملوكي ص ٣١٠ .

(٢) التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٢٨٧ .

في أوقات فراغه، ومما يروى في هذا الشأن أنه جلس في ليلة من الليالي بدمشق يلعب بالشطرنج مع بعض المقربين منه، وكان من بين الحاضرين في هذا المجلس العماد الكاتب، وأسامة بن منقذ، فجعلا يتابعان مجريات اللعبة، ثم طلب أسامة من العماد أن يأذن له بذكر بيتين قالهما في وصف ما يجري في ساحة الشِّطْرَنج، فأذن له فأنشده :

انظُر إلى لاعبِ الشِّطْرَنج يجمعها ... مُغَالِبًا ثم بَعْدَ الجَمْعِ يَرْميها

كالمرءِ يَكدحُ للدُّنيا ويَجْمَعُها ... حتَّى إذا ما ماتَ خَلاَّها ومَا فيها [1]

والحق يقال : إن صلاح الدين لم يكن يلعب الشِّطْرَنج لمجرد كونه ملهاة ومشغلة، وقطع لأوقات الفراغ، وإنما لعبه لأنه كان يرى فيه تسليةً لطيفةً ذات طابع عسكري، يريح بها نفسه في بعض الأحيان من تعب الجهاد ومشقاته، وتذكرةً للحرب وتدريبًا على فنونها، وقد أصاب الأسعد بن مماتي كبد الحقيقة حين أشار في مقطوعة شعرية له كتبها للعماد الأصفهاني في ذي القعدة سنة ٥٧٢هـ /١١٧٦م . وكان قد نزل مع صلاح الدين ببركة الجب خارج القاهرة استعدادًا للخروج إلى الشام للجهاد . يمدح فيها صلاح الدين، ويعرِّض بلعبه الشطرنج، ويذكر أنه إذا كان في لعبه ملهاة ومشغلة لعلي القدر، فإن لعبها في حضرة صلاح الدين يعد تذكرةً للحرب وتدريبًا على فنونها، بقوله :

يَا صلاحَ الدينِ يا مَلِكًا ... قَدْ بَراه اللَّهُ للأممِ

أضحت الكُفَّار في نِقَمٍ ... وغدا الإسلامُ في نِعَمِ

إنْ يَكُ الشِّطْرِنْجُ مَشْغلة ... للعليِّ القَدْرِ والهِمَمِ

(١) العماد: خريدة القصر، قسم شعراء الشام ج١، ص ٥١٥، ٥١٦، ياقوت معجم الأدباء ج ٢، ص ٥٧٧ .

فهي في ناديك تذكرةٌ لأمورِ الحَرْبِ والكَرمِ[١]

كما نالت لعبة الشطرنج حيزًا من اهتمام الناس في هذا العصر باعتبارها لعبة للتسلية وإعمال الفكر، فشغف بها وولع بها بعض الشعراء والأدباء، وممن كان يجيد لعبها من الشعراء أبو المجد بن فضلان الضرير البغدادي الشطرنجي [٢] نزيل حلب، كان ولعًا بلعبها، بارعًا فيها لا يكاد يغلبه أحد على الرغم من أنه كان ضرير البصر، حتى وصف بأنه " كان طبقة لا يلحق في لعب الشَّطْرَنج " [٣].

وممن اشتهر بلعب الشطرنج الشاعر الدمشقي ابن الساعاتي (ت ٦٠٤ هـ) الذي انصرف في صباه بكليته إلى تعلم فنون الفروسية والشطرنج والنَّرْد فبرع فيها، وكان إتقانه لها سببًا في تقدمه على أقرانه، وفي الحظوة التي نالها من جانب سلاطين الدولة الأيوبية وأمرائها " فخالطه الكبراء، وهام فيه الجلة، ونادمه الملوك، وجالسه السلاطين إلى أن قُدِّم على الجميع " [٤].

ومما يدل على انتشارها بصورة كبيرة في هذا العصر كوسيلة للتسلية، أنه كان يمارسها من يستجيز لعبها من الحجاج المسلمين، وهم في طريق ذهابهم إلى الحج وأثناء عودتهم، حيث كانوا يمارسونها وهم على ظهور الإبل في

(١)العماد: خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ج ١، ص ١٠٦، أبو شامة: الروضتين ج ٢ ، ص ٤٥٤.

(٢)هو أبو المجد بن فضلان الشطرنجي، شاعر من أهل بغداد، قدم حلب في سنة ٥٨٥هـ ، ومدح سلطانها الظاهر غازي بن صلاح الدين، وكان بارعا في لعب الشطرنج . ابن الشعار: قلائد الجمان م٤،ج ٥، ص ٣٢٩، ابن العديم: بغية الطلب ج ١٠، ص ٤٦٠٩ .

(٣) ابن الشعار: المصدر السابق نفسه، ابن العديم: المصدر السابق نفسه .

(٤) ابن سعيد: الغصون اليانعة ص ١١٨.

(الشقاديف)[١] تسلية لهم في سفرهم الطويل، وإجمامًا للنفس من مشقات هذا السفر [٢] .

ـ لعبة النَّـرْد :

من وسائل التسلية الهادئة التي انتشرت في هذا العصر، وهي لعبة ذات أصل فارسي، وضعها الملك الفارسي أردشير بن بابك، ولذلك قيل له : نردشير [٣]، وتشبه في تكوينها وطريقة لعبها ما يطلق عليه العامة في وقتنا الحالي (الطاولة)[٤]، وهي لعبة تعتمد على الحظ في لعبها، ذلك أن النرد كما يقول الدميري " جامع لحكم القضاء والقدر، وحسن التصرف لاختيار لاعبه" [٥].

وقد انتشر اللعب بالنَّرْد في الأوساط الشعبية وبين أبناء الطبقة الخاصة من الملوك والأمراء، فأقبل على لعبه بعض الملوك والأدباء والعامة، فقد كان الملك الأمجد بهرام شاه [٦] صاحب بعلبك مولعًا باللعب بالنَّرْد، يلعبه مع خواصه والمقربين

---

(١) الشقاديف: يصفها ابن جبير بأنها " أشباه المحامل " ويذكر أن أحسن أنواعها اليمانية ؛ لأنها كالأشاكيز السفرية مجلدة متسعة، يوصلها الإنسان بالحبال الوثيقة وتوضع على البعير، ولها أذرع قد حفت بأركانها يكون عليها مظلة، وقد كان يستعملها أهل الغنى واليسار من الحجاج . ابن جبير: الرحلة ص ٣٨ .

(٢) ابن جبير: المصدر السابق نفسه .

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ج ،٢ ص ١٤١، أحمد تيمور: لعب العرب ص ٦٢ .

(٤) لطفي أحمد نصار: وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك ص ٣٠٩ .

(٥) الدميري: حياة الحيوان ج ٣، ص ١٧٦ .

(٦) الملك الأمجد: هو الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك، كان أديبًا فاضلا، له ديوان شعر، ولاه صلاح الدين بعلبك بعد وفاة أبيه في سنة ٥٧٨ هـ، فحكمها حوالي خمسين عاما إلى أن أخذها منه الأشرف موسى في سنة ٦٢٧ هـ، فانتقل إلى دمشق وأقام فيها، قتله مملوك له وهو يلعب بالنرد في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢٢ ، ص ٣٠٩ ـ ٣١١، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ج ٣، ص ١٨٠، الصفدي: الوافي بالوفيات ج ١٠، ص ١٩٠ ـ ١٩٢ .

والمقربين منه، وقد قتل وهو مشتغل بلعبه مع أحد خواصه، قتله مملوك له بسبب دواة من ذهب سرقها المملوك فحبسه الأمجد في خزانة في داره بدمشق، واحتال المملوك في الخروج من محبسه، وأخذ سيف الأمجد وضربه به، وهو غافل مشتغل باللعب بالنرد(١) .

كما كان الشاعر الرشيد النابلسي (ت ٦١٩هـ /١٢٢٢م) يجيد لعب النَرْد، يلعبه في وقت فراغه مع أصدقائه وبعض غلمانه المقربين، وقد لعب مرة مع غلام له فغلبه، فبدا منه ما ضربه عليه، فنظم أبياتا يصف فيها ما حدث بقوله :

وشـــادنٍ نَـادَمْتُـــه	وقَـــدْ تَجنَّـــى وعَتَـــبْ
وقَـــدْ لَعِبْنَـــا نُـــدَبـًا	فَنَـــاحَ مِـنْـــهُ ونَـــدَبْ
فـقـــالَ لـــي بِـغَيظَـــةٍ	وقَـلْبُـهُ قَـــدْ الـتَهَـــبْ
وعَـقْلُـــهُ لِغَـلْبِـــهِ	قَـدْ بَـانَ عَنْـــهُ وذَهَـــبْ
عـــلامَ ذَا يـا مـــالِكِـــي	قُلـتُ علـى سُـــوءِ الأدبْ (٢)

وممـن اشـتهر بلعـب النَّـرْد الشـاعر ابـن عنـين الدمشـقي (ت٣٠ هـ/ ١٢٣٢م)(٣) ويبدو أنه كان يمارس لعبه مع المعظم عيسى سلطان دمشق، أثناء اجتماعهما في مجالس الأنس والسمر، ومن طريف ما يروي عنه أنه تزهد وأعرض

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٢٢، ص ٣١٠، ابن واصل: مفرج الكروب ج٤، ص ٢٨٤،
(٢) ابن الشعار الموصلي: قلائد الجمان م٢، ج ٣، ص ٢٨٢ .
(٣) هو محمد بن نصر الله بن الحسين الدمشقي، أديب وشاعر مشهور، ولد بدمشق سنة ٥٤٩ هـ، ونشأ بها، شهد له معاصروه بنبوغه وقوة شاعريته، غلب على شعره الهجاء، نفاه صلاح الدين خارج دمشق فطوف بالعديد من البلدان، ثم عاد في عهد الملك العادل، واتصل بالمعظم عيسى سلطان دمشق فقربه واستوزره، كما وزر لابنه الناصر داود، ولما ملك الأشرف موسى دمشق سنة ٦٢٦هـ لزم بيته، توفي بدمشق سنة ٦٣٠هـ . ياقوت: معجم الأدباء ج ٦، ص٢٦٦١ ـ ٢٦٦٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥، ص ١٤ ـ ١٨.

عن اللهو، وتاب عن شرب الخمر، وأظهر التعبد والنسك، واعتكف في مسجد من مساجد دمشق يتعبد، وانقطع عن الحضور إلى مجلس سمر المعظم عيسى، فلما علم بخبر تزهده، أرسل إليه على سبيل المداعبة قنينة خمر وفصوص للنَّرْد، وطلب من حاجبه أن يقول له : "سبح بهذا" إشارة إلى أن زهده رياءً وتصنعًا وليس حقيقةً؛ لما عرف عنه من الدعابة والمجون، فكتب إليه ابن عنين معاتبًا ومعرِّضًا بما فعله مع قاضي دمشق ابن الزكي [١] :

يا أيُّها الملكُ المعظَّمُ سُنَّةٌ أَحْدَثْتَهَا تبقى على الآبادِ

تجري الملوكُ على طَريقِكَ بَعْدَهَا خَلْعُ القُضَاةِ وتُحفَةُ الزُّهَّادِ [٢]

وإلى جانب هذا كان النَّرْد من الألعاب التي انتشرت بين المماليك والجنود، فكانوا يقبلون على لعبها في أوقات فراغهم كلون من ألوان التسلية يروحون به عن أنفسهم، كما كانوا يعلبونها في أثناء قيامهم بوظيفة الحراسة ليلا، يتسلون بها ويشغلون أنفسهم عن النوم، ومما يروى في هذا الصدد أن جماعة من مماليك

(١) كان المعظم عيسى قد غضب على قاضي دمشق زكي الدين بن محيى الدبن بن الزكي، وأراد عزله بسبب أن عمته ست الشام كانت قد أوصت في مرض وفاتها بوقف دارها مدرسةً، وأحضرت القاضي ابن الزكي والشهود وأوصت إليه دون علم المعظم، فأغضبه هذا، ولم يستطع أن يفعل شيئا مع القاضي خوفًا من الشناعات، ثم اتفق أن القاضي أحضر جابي المدرسة العزيزية وطلب منه حسابها، فأغلظ له في القول، فأمر بضربه، فضرب بين يديه كما يفعل الولاة، فوجد المعظم السبيل إلى الانتقام منه، فأرسل إليه قباء أصفر وكلوتة صفراء ـ وهما لباس والي الشرطة ـ وأمره أن يلبسهما في مجلس قضائه، إهانةً وتحقيرًا لشأنه، فلبسهما وحكم بين اثنين، ثم قام من المجلس وانصرف إلى داره، فمرض أياما ومات كمدًا سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م . سبط بن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢٢، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص ٤٤ .

(٢) ديوان ابن عنين، تحقيق: خليل بك مردم، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت دون تاريخ، ص ٩٢، ٩٣، أبو شامة: ذيل الروضتين ص ١١٨ .

المنصور صاحب حماة [١] ممن يقول الشعر، كانوا يلعبون بالنَّرْد، وطلبوا من أحد الشعراء أن يقول في النَّرْد شيئًا، وهي بين أيديهم يلعبون بها، فقال ارتجالًا :

كَأنَّما النَّرْدُ وقَدْ صُفِّفَتْ ... جَيْشَانِ مِنْ زِنْجٍ ومِنْ تُرْك

وَقْعَاتُها ما بَيْنَهَا أشْبَهَتْ ... وقَائِعَ المَنْصُور في الشِّرْكِ [٢]

(١) الملك المنصور: هو محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ملك حماة بعد وفاة والده في سنة ٥٨٧ هـ، كان عالما فاضلا، يحب العلم ويرغب في الأدب، اجتمع في خدمته ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والأدباء والنحاة والمنجمين والكتاب وغيرهم، له العديد من المؤلفات منها: طبقات الشعراء، ومضمار الحقائق وسر الخلائق، وله ديوان شعر، توفي بحماة سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢٢، ص ٢٥٥، ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ٧٧ . ٨٦، المقريزي: المقفى الكبير ج ٦، ص ٤١٣ . ٤١٥ .

(٢) ابن الشعار الموصلي: قلائد الجمان م٨، ج١٠، ص ٧٢ .

المبحث الرابع
التنزه والمتنزهات

كان الخروج إلى المتنزهات، وارتياد الحدائق العامة والخاصة وشواطئ الأنهار لقضاء أوقات الفراغ من وسائل الترفيه التي انتشرت في هذا العصر، ولعل مما ساعد علي شيوع هذا اللون من ألوان الترفيه ما تميزت به مصر وبلاد الشام من طبيعة ساحرة، ومناخ جيد متنوع، وأنهار جارية كنهر النيل الذي تغنى به الشعراء، وأنهار دمشق وحلب وغيرها، فضلا عن وجود العديد من البساتين والبرك والمتنزهات المنتشرة في ضواحي القاهرة والفسطاط ودمشق وحلب، ومن البديهي أن يشجع كل ذلك العامة والخاصة على حد سواء على قضاء أوقات فراغهم في هذه الأماكن في لهو ومرح.

وقد استغل المصريون خلال العصر الأيوبي جمال طبيعة بلادهم أحسن استغلال، وتفاعلوا مع هذا الجمال، فكانوا يخرجون إلى شاطئ النيل وخاصة في وقت وفائه، وفي فصل الربيع للنزهة والترويح عن النفس، فيلهون ويلعبون ويركبون مراكب النزهة على صفحات مياهه، كما كانوا يخرجون إلى البرك والحدائق المنتشرة في أرجاء الفسطاط والقاهرة، ويستمتعون برؤية ما فيها من زهور ورياحين، وخاصة في الأعياد ومناسبات السرور والفرح(١).

ـ سلاطين بني أيوب والتنزه :

على الرغم من غلبة فكرة الحرب على حياة سلاطين بني أيوب، وطغيان عقيدة الجهاد على أحاسيسهم ومشاعرهم، إلا أن ذلك لم يحل بينهم وبين أخذ نصيبهم من الدنيا ومتعها، والميل إلى القيام ببعض ضروب الترفيه المباحة كالخروج إلى النزهة وارتياد المتنزهات، لاسيما في أوقات السلم والهدنة ؛ بحثًا عن

(١) سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ١٦٧.

الراحة والمتعة، وتخفيفًا من عناء الحروب ومكابدتها، ومن ذلك ما ذكر عن صلاح الدين من أنه بعد أن عقد صلح الرملة مع ريتشارد ملك إنجلترا في سنة ٥٨٨ هـ، عاد إلى دمشق، وقضى فيها الأيام الأخيرة من حياته بين أولاده وأخيه العادل يتفرجون على متنزهاتها ومواطن الصبا، ويتمتعون بطبيعتها الخلابة وبساتينها الجميلة، ويخرجون في سرحات للصيد، وقد ذكر ابن شداد أن صلاح الدين " وجد بذلك راحةً مما كان فيه من ملازمة التعب، وسهر الليل ونصب النهار، وما كان ذلك إلا كالوداع لأولاده ومرابع نزهه "، وقد أنسته بهجة دمشق ما كان قد اعتزمه من السفر إلى مصر لتفقد أحوالها، وتقرير قواعدها، والنظر في مصالحها [١] .

أما خلفاء صلاح الدين من سلاطين بني أيوب فقد أقبل بعضهم على الدنيا وطيباتها، ولم تحل حياة الجهاد بينهم وبين الاستمتاع بمناظر الطبيعة وجمالها الساحر، فابتنوا القصور الفاخرة النزهة، وأكثروا من الخروج إلى أماكن النزهة المنتشرة في مصر والشام طلبًا للراحة والمتعة، وقضاء أوقات الفراغ والسكينة، فكان الكامل محمد سلطان مصر (ت ٦٣٥ هـ) يخرج في أوقات فراغه برفقة بعض أمرائه وخواصه المقربين من الأدباء وغيرهم في رحلات نهرية في نهر النيل للنزهة والتمتع بمناظره الخلابة، وقضاء أوقات سعيدة على صفحات مياهه، ومن ذلك ما ورد من أنه خرج في رحلة نهرية برفقة شاعره ونديمه الصلاح الإربلي (ت ٦٣١هـ / ١٢٦٣م)[٢]، فأمسك الصلاح بيمينه يد الكامل، وجعل يسامره وينادمه في النيل ثم أنشد :

يُقَالُ فِي الأَمْثَالِ مَنْ شَاءَ أنْ يَأْتِيهِ فِي النَّاسِ غِنىً عَاجِلْ

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ٣٥٧، أبو شامة: الروضتين ج ٤، ص ٣٤٥ .

(٢) الصلاح الإربلي: هو أحمد بن عبد السيد بن شعبان الإربلي، أديب شاعر، ولد بإربل سنة ٥٧٠هـ ونشأ بها، ثم رحل إلى الشام واتصل بخدمة الملك المغيث بن العادل الأيوبي، ولما توفي المغيث انتقل إلى مصر واتصل بالملك الكامل فقربه وحظي عنده، ثم تغيَّر عليه واعتقله في سنة ٦١٨هـ، ثم أفرج عنه في سنة ٦٢٣ هـ بسبب دوبيت عمله يستعطفه فيه، توفي بالرها سنة٦٣١هـ، ودفن بالقاهرة . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٢٢، ص ٣٣٤، ابن العديم: بغية الطلب ج ٢، ص ٩٨٣ . ٩٨٦، ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص ١٦٤ . ١٦٦ .

يُجَاوِرُ البَحْرَ أو المَلكْ إذ فِي ذَا وفِي هَذا غِنىً حَاصِلْ
كَيْفَ يَزُورُ الفَقْرُ بَيْتِي ولي بَحْرانِ ذَا هَامٍ وذَا هَامِلْ
البَحْرُ مِنِّي فِي يَسَارِي وفِي يَمِنِي يدِيِّ الملكِ الكَامِلْ[١]

كما اعتاد الكامل الذهاب إلى جزيرة الروضة للتنزه [٢] . وكانت متنزهًا مفضلا له [٣] ـ وخاصة في فصل الربيع، حيث الخضرة بمنظرها الجميل وروائحها العطرة، وبنى بها قصرًا شاهقًا ومقعدًا يعرف بالبانياسي لينزل بهما عندما يذهب إليها [٤]، كما كان يكثر من الذهاب إلى مدينة العباسة للصيد والنزهة، وكان يفضل الإقامة فيها ليستريح من مشاغل الحكم وتبعاته، وضجيج الحياة وصخبها، ويقول عنها : " هذه أحسن عندي من الإقامة بالقلعة، أصيد بها الطير من السماء، والسمك من الماء، والوحش من الفضاء، ويصل إليَّ خبر القاهرة في كل يوم مرتين "، ومن فرط حبه لها، وكثرة خروجه إليها أقام بها القصور والمناظر، وعمَّر بها البساتين، وكانت من أفضل متنزهاته [٥] .

(١) المقريزي: المقفى الكبير ج ١، ص ٥٠٠ .
(٢) جزيرة الروضة: كانت محلة من محال الفسطاط، عرفت في بداية الفتح الإسلامي بالجزيرة، وبجزيرة مصر، ثم سميت أيام الفاطميين بجزيرة الروضة، اشتراها تقي الدين عمر بن شاهنشاه، وأوقفها على مدرسته منازل العز، ولما ملك الصالح نجم الدين أيوب مصر استأجرها مدة ستين سنة، وبني بها قلعة الروضة، واتخذها مقرا لحكمه، وأسكن بها مماليكه. ياقوت: معجم البلدان ج ٢، ص١٣٩،ابن واصل: مفرج الكروب ج٥، ص ٢٧٨ .
(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص ٢٧٨، ابن تغري بردي: النجوم ج ٦، ص ٣٢٠ .
(٤) ابن واصل: المصدر السابق ج ٥، ص ٢٧٨، و ج ٦، ص ٨٤ .
(٥) القزويني: آثار البلاد ص٢٢٠، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ص ٢٩١، المقريزي: الخطط ج١، ص ٦٤٥.

أما الأشرف موسى (ت ٦٣٥ هـ) فقد كان مقبلا على التمتع بالدنيا وملذاتها، يعيش عيشةً مبتهجةً، يتمتع فيها بالرياض ومجالس الأنس والطرب، فكان أثناء وجوده بدمشق يخرج إلى بساتينها النضرة للنزهة في فصل الصيف[١]، وبنى القصور الحسنة في الشرق، وفي دمشق من أجل النزهة والتمتع بملاذ الحياة، ولما بنى بالنيرب[٢] قصره المعروف بالدهشة، وصُفَّة بقراط، كان يقول : " إني بعت ممالك الشرق كلها بهذين الموضعين، إذ ليس ثمرة الملك إلا الاستمتاع بالملاذ والراحات" [٣]، ومن الجدير بالذكر أنه أباح لأهل دمشق الفرجة والتنزه بهما تطييبًا لقلوب الرعية [٤] .

ولم يكتف الأشرف بالخروج إلى متنزهاته الخاصة التي أنشأها في بلاد الشام، بل كان يذهب إلى مصر في رحلات للتنزه، ويخرج بصحبة أخيه الكامل إلى العديد من أماكن النزهة فيها، وقد ذكرت المصادر أن الملك الأشرف قدم إلى مصر في سنة٦١٩هـ/١٢٢٢م، وفي سنة ٦٢٨ هـ /١٢٣٠م وأقام عند أخيه الكامل متنزهًا، وقضى بها أوقاتًا سعيدة [٥].

أما الصالح نجم الدين أيوب (ت ٦٤٧ هـ) فقد كان مغرمًا بالعمارة والمساكن النزهة، عمَّر جزيرة الروضة وابتنى بها القصور النزهة، وأنشأ بها حدائق غرس

(١) ابن واصل مفرج الكروب ج ٤، ص ٢٢٩ .

(٢) النيرب: قرية مشهورة نزهة في وسط بساتين دمشق. ياقوت: معجم البلدان ج ٥ ، ص٣٣٠.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص ١٤٣، ١٤٤ .

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب م٧، ص ٣٠٨ .

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ١١٦، ١٢٦، ٣١٤، أبو الفدا: المختصر ج٣، ص ١٦٣، ١٦٤، ١٨١.

فيها جميع الأشجار، وجعلها مقرًا لحكمه، وأسكن بهام مماليكه [١]، وبنى مدينة الصالحية، وشيد بها قصورًا ومناظر، واعتاد التردد عليها للصيد والنزهة [٢] .

- الأدباء والتنزه :

اعتاد الخاصة والأدباء في هذا العصر الخروج إلى شاطئ النيل وإلى الحدائق والمتنزهات وغيرها من مواطن النزهة، التي كانوا يجدون في الذهاب إليها متنفسًا لهموم الحياة ومجالا للترفيه، ومكانًا للسمر والمنادمة، وقد ذكر العماد الأصفهاني (ت٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م) أنه أثناء وجوده في مصر في سنة ٥٧٢ هـ /١١٧٦م كان يخرج في أوقات فراغه مع أصدقائه من الأدباء والشعراء إلى أماكن اللهو والنزهة في جزيرة الروضة، والجيزة، للتنزه وقضاء أوقات سعيدة، وكان يشاطرهم اللذات وحضور مجالس الأنس والغناء، وأشار إلى هذا بقوله :" فتوفرنا على الاجتماع في المغاني لاستماع الأغاني والشعر، والتنزه في الجزيرة والجيزة، والأماكن العزيزة، ومنازل العز ... والنيل والمقياس ... والاستمتاع بالجواهر والأعراض ... " [٣] .

كما كانوا يذهبون إلى بعض المتنزهات الخاصة ببعض أعيان القاهرة والفسطاط، ذكر العماد الأصفهاني أنه أثناء وجوده في مصر في سنة ٥٧٧ هـ/١١٨١م نزل هو وجماعة من الأدباء والأعيان في ضيافة الأمير سيف الدولة مبارك بن منقذ [٤]، فصنع لهم دعوة عظيمة بالناحية المعروفة

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص ٢٧٨، المقريزي: الخطط ج ٢، ص ٧٩٩ . ٨٠١ .

(٢) أبو الفدا: المختصر ج ٣، ص ٢١٨، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٧٦ .

(٣) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١١٥، ١١٧، أبو شامة: الروضتين ج ٢، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٤) هو سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ، ابن عم أسامة بن منقذ، ولد بشيزر سنة ٥٢٦هـ، كان من أمراء الدولة الصلاحية، تولى شد الدواوين بمصر، ولما فتح توران شاه بن أيوب اليمن جعله نائبًا عنه في مدينة زبيد، ولما عاد توران شاه إلى الشام، ترك مبارك بن منقذ اليمن وعاد إلى مصر، وأقام بناحية العدوية، توفي بمصر سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م . ابن الأثير: الكامل ج ١٠، ص ١٠٥، ١٠٦، البنداري: سنا البرق الشامي ص ١٨٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤، ص ١٤٤ . ١٤٦.

بالعدوية [١]، وكان قد اشتراها من صلاح الدين، وأجرى فيها بعض الإصلاحات، فأصبحت على حد قول العماد "... ذات جنان وعيون، وأفنان وحدائق فاخرة، وهي على الحقيقة جنة القاهرة ..." [٢] فقضوا بها يومهم وليلتهم في جد ومرح ولهو، وفي صباح اليوم التالي اقترح عليهم الخروج في رحلة نهرية في نهر النيل، فركبوا مركبًا من مراكب النزهة سار بهم في مياه النيل، حيث قضوا يومًا سعيدًا بين مناظر الطبيعة الخلابة، وجو النيل الساحر الذي يسبي النفوس، بهوائه الطلق وشمسه الصافية، ولما انتهت رحلتهم عادوا إلى العدوية، فأعد لهم مأدبة عظيمة [٣] .

وقد أفاض أدباء العصر الأيوبي في الحديث عن النيل وعن أوقات اللهو والنزهة التي كانوا يقضونها على ضفافه وعلى صفحات مياهه، فيصف البهاء زهير(ت ٦٤٨هـ /١٢٥٠م) يومًا من أيام اللهو والصفاء، قضاه في التنزه على شاطئ النيل مع بعض أصدقائه من الأدباء ذوي الأهواء المختلفة، كان فيهم الجاد، وفيهم الخليع الماجن، ولكنهم اتفقوا جميعًا على أن يقضوا يومًا سعيدًا بين جمال الطبيعة، وسماع الغناء، وركوب مراكب النزهة، بقوله :

نَـزلْنَـا شَـاطِـئَ الـنِّيـلِ ... عَلَـى بُسْـطِ الأزَاهِـيـرِ

وقَـدْ أضْـحَى لنـا بالـمو ... جِ وجـهٌ ذُو أسَـارِيـرِ

تَـسَـابَقْنَـا إلـى اللَّـهْـوِ ... ووافَـيْنَـا بِتَبْـكِـيرِ

وفِـينَـا ربٌّ مـحـرابٍ ... وفـينـا رَبُّ مَـاخُـورِ

(١) العدوية: قرية على الشاطئ الشرقي للنيل، في الجنوب من الفسطاط، ذات جنان وعيون وأفنان وحدائق فاخرة، اشتراها الأمير مبارك بن منقذ من صلاح الدين وعمَّرها . ياقوت: معجم البلدان ج ،٤ ص ٩٤، البنداري: سنا البرق الشامي، ص ١٨٩ .

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١٨٩ .

(٣) البنداري: المصدر السابق ص ١٨٩، ١٩٠،

ومِـــنْ قَـــوْمٍ مَسَاتيـــر ومِـــنْ قَـــوْمٍ مَسَاخِيـرِ
ومِـــنْ جِـــدٍّ ومِـــنْ هَزْلٍ ومِـــنْ حَـــقٍ ومِـــنْ زُورِ (١)

وإلى جانب الخروج إلى النيل اعتاد الأدباء والشعراء الخروج إلى كثير من المتنزهات المنتشرة في الفسطاط والقاهرة، وقد أشار البهاء زهير إلى العديد من ضروب التنزه، والأماكن التي كان يرتادها مع صحبه من الأدباء في أبيات نظمها في إحدى رحلاته متذكرا مصر، واصفا أيامه بها وما كان يتخللها من متع الحياة، من التنزه فوق مراكب النزهة في مياه النيل، ولياليه التي كان يقضيها مع أصدقائه من الأدباء في الجزيرة والجيزة بين الرياض النضرة، وعند مجرى الخليج بقوله :

فـرَعَـى الله عَـهْـدَ مصـر وحيَّـا ما مضَى لي بِمصرَ مِنْ أوقاتِ
حَبَّـذَا النيـل والمراكـب فيـه مصعـداتٍ بنـا ومنحـدراتِ
ولـيالـيٍّ فـي الجـزيـرة والجيـ ـزةِ فيمـا اشتهيتُ مـن لـذَّاتِ
بيـن رَوْضٍ حكـى ظهـور الطواويـ ـس وجـوٍّ حكـى بطـونَ البزاةِ
حيث مجرى الخليـجِ كالحيَّـةِ الرقْطَـ ـاءِ بيـن الـرياض والـجَنَّـاتِ
ونديـمٍ كما نحـبُّ ظـريـفٌ وعلـى كامل مـا نحـبُّ مـواتي
كـل شـيء أردتـه فهـو فيـه حسـنُ اللـذَّات كامـلَ الأدوات(٢)

(١) ديون البهاء زهير ص ١١١، وانظر باقي الأبيات في الديوان ص ١١٢ .
(٢) . انظر: ديوان البهاء زهير ص ٤٨ .

ـ العامـــة والتنـــزه :

اعتاد عامة مصر في هذا العصر ـ رغم الحروب وويلاتها ـ الخروج إلى شاطئ النيل وأماكن النزهة المختلفة، بحثًا عن الراحة والمتعة، وقضاء أوقات الفراغ، ولا غرابة في هذا فإن رخاء مصر، وعظم ثروتها، أتاح لأبنائها أن يأخذوا لأنفسهم بحظ وافر من متع الحياة، وقد عرف عن أهل مصر ميلهم إلى اللهو، وحب المرح، وخفة الظل، والابتهاج بالحياة [١] ، ولعل مما شجعهم على ذلك ما كانوا يتمتعون به من حياة مستقرة في ظل نظام سياسي متين، وأوضاع أمنية وطيدة الأركان، ورغد في العيش، وقلة تكاليف الحياة، وتوافر أماكن اللهو والنزهة، وقد أشار الرحالة الذين زاروا مصر في هذا العصر إلى ذلك، فقد وصف ابن جبير سكان الإسكندرية في عهد صلاح بأنهم كانوا " في نهاية من الترفيه واتساع الأحوال، لا يلزمهم وظيف البتة " [٢]، وألمح ابن سعيد المغربي [٣] في حديثه عن القاهرة إلى هذا بقوله : " والفقير المجرد فيها (أي القاهرة) يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته، ووجود السماع (أي الغناء) والفرج في ظواهرها ودواخلها، وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب إليه نفسه، يحكم فيها كيف شاء من رقص في وسط السوق، أو تجريد أو سكر من حشيشة أو صحبة مردان وما أشبه ذلك " [٤] .

---

(١) أحمد أحمد بدوي: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر، القاهر بلا تاريخ، ص٢٠، ٢١، محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ط ٣، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ١٥٦ .

(٢) رحلة ابن جبير ص ١٥ .

(٣) زار ابن سعيد المغربي مصر مع والده في عهد الصالح نجم الدين أيوب، وأقام بها فترة طويلة امتدت من سنة ٦٣٩ ـ ٦٤٤هـ /١٢٤١ـ ١٢٤٦م .

(٤) النجوم الزاهرة ص ٢٩، ٣٠، المقريزي: الخطط ج ٢، ص٦٨، المقري: نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٣٤٨ .

كما أشار أيضا إلى إقبال أهلها على الاستمتاع بالحياة وملذاتها، والانغماس في مظاهر اللهو والمجون، وسماع الغناء، في ظل هذه الحرية التي تمتعوا بها في هذا العصر، وغياب الرقابة في بعض الأحيان بقوله: "ولا ينكر فيها إظهار أواني الخمر، ولا آلات الطرب ذوات الأوتار، ولا تبرج النساء العواهر، ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها [١] .

وقد اعتاد العامة الخروج إلى المتنزهات أثناء الاحتفال ببعض الأعياد التي كان يحتفل بها أهل الذمة في مصر، والتي كان من أهم مظاهر الاحتفال بها الخروج إلى المتنزهات من الرياض وشاطئ النيل للانطلاق والمرح والفرجة، وما يصاحب ذلك من أنواع الملاهي والغناء، ففي يوم الاحتفال بعيد الشهيد [٢] كان يخرج عامة أهل الفسطاط والقاهرة على اختلاف طبقاتهم وأديانهم إلى المتنزهات والمروج الخضراء المنتشرة على شاطئ النيل، وهم يلبسون أبهى الثياب، وينصبون الخيام في أماكن النزهة، ويقضون وقتا سعيدًا في تناول الطعام والشراب، وركوب مراكب النزهة في النيل، والاستماع إلى الموسيقى والغناء، حيث " لا يبقى مغن ولا مغنية، ولا صاحب لهو، ولا رب ملعوب، ولا بغي ولا مخنث، ولا ماجن ولا خليع، ولا فاتك ولا فاسق إلا ويخرج لهذا العيد" وكان يحدث أثناء هذه التجمعات الكثير من المعاصي من شرب للخمور، وتهتك في الأخلاق، واختلاط الرجال بالنساء في غير

(١) النجوم الزاهرة، ص ٣١، ٣٢ .

(٢) عيد الشهيد: هو أحد الأعياد التي كان يحتفل بها النصارى في مصر، وكان يتم الاحتفال به في اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط، ويزعمون أن النيل لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى فيه تابوتا من خشب، فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى، وكان يشارك في الاحتفال به عامة أهل مصر على اختلاف طبقاتهم بغض النظر عن ديانتهم . المقريزي: الخطط ج ١، ص ١٩٩، ٢٠٠ .

كلفة أو حجاب، بل وكثيرا ما كانت تقع بعض حوادث القتل بسبب شرب الخمر، وكثرة الناس واختلاطهم [١].

ومن هذه الاحتفالات التي كان يخرج فيها العامة إلى المتنزهات الاحتفال بعيد النوروز [٢] وقد اهتم به أهل مصر أيما اهتمام، ـ وخاصة في العصر الفاطمي ـ فكان يوم بطالة يتحرر فيه الناس من قيود حياتهم، ويخرجون إلى المتنزهات وشواطئ الأنهار، فيقضون يومهم في الاشتغال ببعض ضروب اللهو من إشعال النار، والتراش بالماء والخمر، وبالماء ممزوجًا بالقاذورات، فإن أخطأ مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته ؛ فإما فدى نفسه وإما فضح [٣].

واستمر الاحتفال به في العصر الأيوبي، وقد عمد صلاح الدين من جانبه على إبطال مظاهر الخلاعة والمجون التي كانت ترافق هذا الاحتفال في عهد الفاطميين، وقد أشاد القاضي الفاضل باهتمام صلاح الدين بمنع تلك الممارسات التي كانت تجري في الاحتفال بالنيروز فقال في حوادث سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م : " ولم يجر الحال على هذا، ولكن قد رش الماء في الحارات، وقد أحيا المنكرات في الدور أرباب الخسارات " [٤].

لكن هذا المنع لم يستمر طويلا إذ سرعان ما عادت الأمور بعد وفاته إلى ما كانت عليه أيام الفاطميين، بل وازدادت سوءًا، وقد أشار إلى هذا القاضي الفاضل

---

(١) المقريزي: الخطط ج١، ص ١٩٩ .

(٢) النيروز: معناه اليوم الجديد، وهو من أشهر الأعياد الفارسية، وكان يحتفل به في مصر في أول السنة القبطية، وكان من مواسم لهو المصريين .المقريزي: الخطط ج ١، ص ٧٤١، ٧٤٤ .

(٣) المقريزي: الخطط ج ٢، ص ٣٥٧، ٣٥٨ .

(٤) المقريزي: المصد السابق ص ٣٥٨ .

في متجددات سنة ٥٩٢هـ /١١٩٥م، بقوله : "وجرى الأمر في النيروز على العادة من رش الماء، واستجد في هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع، وانقطع الناس عن التصرف، ومن ظفر به في الطريق رش بمياه نجسه، وخرِّق به " [١] .

ـ متنزهات القاهرة والفسطاط :

ـ نهر النيل :

كان النيل ـ ولا يزال ـ أحد متنزهات أهل مصر، فهو إلى جانب كونه عنصر الحياة والبركة لمصر، يفرح الناس ويستبشرون بفيضانه، وتقام الاحتفالات فرحًا بذلك، هو أيضا عنصر ترفيه وجمال [٢]، وقد مر بنا في الصفحات السابقة كيف كان النيل مكانًا مفضلا للنزهة عند بعض ملوك بني أيوب، وعند الأدباء والشعراء الذين تغنوا بجماله، وأفاضوا في الحديث عن أوقات اللهو والنزهة التي كانوا يقضونها على ضفافه وعلى صفحات مياهه، وكذلك عند العامة الذين اعتادوا الخروج إلى شواطئه للنزهة وقضاء أوقات سعيدة، مما لا حاجة بنا إلى إعادته .

وإلى جانب الخروج إلى النيل اعتاد الناس الخروج إلى العديد من أماكن النزهة المنتشرة في ضواحي القاهرة والفسطاط، وقد ذكرت المصادر المعاصرة أسماء كثير من هذه الأماكن التي كان يقصدها الناس، فيجدون في ظلها راحة ومتعة، ومتنفسًا لهمومهم، ومن أشهرها :

ـ جزيرة الروضة :

من أجمل متنزهات مصر التي كان يقصدها الملوك والأمراء وذوو اليسار والعامة من الناس للنزهة، والتمتع بمناظرها الخلابة، وقضاء أوقات الفراغ والسكينة،

---

(١) المقريزي: السلوك ج١، ق١، ص١٣٦، ١٣٧، الخطط ج١، ص٧٤٦، ج٢، ص٣٥٨.

(٢) محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص١٥٣ .

وخاصة في وقت فيضان النيل وفصل الربيع [١]، وقد وصفها ابن جبير [٢] عندما مرَّ بها أثناء رحلته بقوله: "فيها مسكن حسان وعلالي مشرفة، وهي مجتمع اللهو النزهة " .

وقد كانت في هذا العصر متنزهًا لبعض سلاطين بني أيوب، يقصدونها للهو والنزهة، وقضاء أوقات الفراغ والسكينة بعيدًا عن ضجيج الحياة وصخبها، كما كان يفعل الكامل [٣] .

كما كان يقصدها بعض الأدباء والشعراء الذين أعجبوا بها، وطلبوا اللهو في حدائقها وبساتينها الغناء، ونظموا في جمال طبيعتها، وحسن موقعها في النيل، فقد وصفها الأسعد بن مماتي بأنها موطن اللذات، ومكان المجون واللهو والطرب فقال :

جـــزيرةُ مـــصرَ لا عَـدَتْـــك مَـسَـــرَّة ... ولا زَالـتْ اللـــذاتُ فـيـكِ اتـصَالُـهَـا

فَكَمْ فِيكِ مِنْ شَمْسٍ على غُصْـنِ بَانَـةٍ ... يُـمِيتُ ويُـحي هَـجْـرُهَا ووصَـالُـهَـا

مَغَـانيـكِ فَـوْقَ النِّيلِ أضْحَتْ هَـوَادجًا ... ومُـخْتَلِفَـاتُ المَـوْجِ فِـيهَا جَـمَـالُـهَـا

ومِـنْ أعْـجَـبِ الأشْـيَاءِ أنَّكِ جَـنَّـةٌ ... تَـرِفٌ على أهْـلِ الـضَّلالِ ظِـلالُـهَـا[٤]

وأعجب بها ابن الساعاتي ووصفها بقوله :

ما أنسَ لا أنسَ الجزيرة ملعبًا ... للأُنس تألفــهُ الحسـانُ الخُرَّدُ

يجري النسيم بغصنها وغديرها ... فـيُهـزُّ رُمْـحٌ أو يُـسـلُ مهنَّـدُ

ويــزينُ دمعُ الطلِّ كلَّ سقيفةٍ ... كالخـدِّ دبَّ بـــه عـذار أسودُ[٥]

(١) ابن دقماق: الانتصار ج،١ ص ١١٠ .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٧ .

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥، ص ٢٧٨، ج ٦، ص ٨٤ .

(٤) ابن دقماق: الانتصار ق١، ١١٧، السيوطي: حسن المحاضرة ج ٢، ص ٣٨٦ .

(٥) ديوان ابن الساعاتي ج٢، ص١٥، ياقوت: معجم البلدان ج٢، ص١٣٩ .

وإلى جانب هذا كانت جزيرة الروضة متنزها للعامة من أهل مصر، يقصدونها في أوقات الفراغ للنزهة، وقضاء أوقات سعيدة، بعيدًا عن الحياة وهمومها[١]، ثم أصبحت في آخر العصر الأيوبي متنزهًا ملوكيًا، بعد أن بنى الصالح نجم الدين أيوب (ت٦٤٧ هـ) في الجزء الجنوبي منها بجوار المقياس قلعته التي عرفت باسم قلعة المقياس، أو قلعة الروضة، أو قلعة الجزيرة، وأحاطها بالأسوار، وجعلها مقر حكمه وسرير سلطانه، وبنى بها من الدور والقصور الحسان ما لم يبن مثله، وأسكن فيها مماليكه، وجعل بها حدائق غرس فيها جميع الأشجار، فأصبحت مروجًا خضراء تسر الناظرين، وألحق بها حديقة للحيوان اشتملت على عدد من الحيوانات المتوحشة مثل : الأسود والفيلة والنمور وغيرها، كان يذهب للتفرج عليها[٢]، ولا شك أن حيواناتها كانت من حصيلة رياضة الصيد التي كانت منتشرة بصورة كبيرة في هذا العصر، والتي كان الصالح مشغوفًا بها.

- بركة الجب:

من أجمل متنزهات القاهرة، وقد وصفها المقريزي[٣] بقوله:" ما برحت هذه البركة متنزها لملوك القاهرة" [٤]، وقد كان سلاطين بني أيوب يخرجون إليها للنزهة والتريض وممارسة الصيد[٥].

(١) السيوطي: حسن المحاضرة ج ٢، ص٣٨٣ المقري: نفح الطيب ج ٢، ص٣٤٣ .

(٢) المقريزي: الخطط ج٢، ص ٧٩٩ـ ٨٠١، السيوطي: حسن المحاضرة ج ٢، ص ٣٨٤، المقري: نفح الطيب ج ،٢ ص ٣٤٤ .

(٣) الخطط ج ٢، ص٣٤٥، ٧٥٢ .

(٤) المقريزي: المصدر السابق نفسه .

(٥) المقريزي: المصدر السابق الجزء نفسه ص٧٥٣، السلوك ج١، ق١، ص٧١، ٧٢ .

ـ بركة الحبش [١] :

كانت من أجمل متنزهات مصر في العصر الفاطمي، وفي العصر الأيوبي كان يرتادها بعض سلاطين بني أيوب، كما كانت محط أنظار الأدباء والشعراء، وعشاق اللهو والطرب [٢]، وقد زارها ابن سعيد المغربي أثناء وجوده بمصر ومدحها بقوله :

يَا بِرْكَةَ الحَبَشْ التي يومي بها ... طُولَ الزَّمَانِ مُبَارِكٌ وسَعِيدُ

حَتَّى كأنَّكِ في البَسِيطَةِ جَنَّةٌ ... وكأنَّ دَهْرِي كُلَّهُ بِك عِيدُ

يَا حُسْنَ مَا يَبْدُو بِكِ الكتَّانُ في ... نُوَّارِهِ أو زرِّه مَعْقُودُ

والمَاءُ مِنْكِ سُيوفُهُ مَسْلُولَة ... والقُرْطُ فِيكِ رَواقُهُ مَمْدُود

يا ليت شعري هل زمانك عائد ... فالشوق فيه مبدئ ومعيد [٣]

(١) بركة الحبش: تقع جنوب مدينة الفسطاط فيما بين النيل وجبل المقطم، حيث تصل مياه النيل إلى البركة عبر خليج بني وائل، وقد كانت تعرف ببركة المعافر، وبركة حمير، وفي شرقيها بساتين توصف بالحبش، فنسبت إليها . ياقوت: معجم البلدان ج ،١ ص ٤٠١، المقريزي: الخطط ج٢، ص ٧٢٣، ٧٢٤.

(٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، القسم الخاص بالفسطاط ، تحقيق: زكي محمد حسن، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٣ ج١، ص ٢٧٤ .

(٣) ابن سعيد: المصدر السابق ص١٠، ابن دقماق: الانتصار ج١، ص ٥٦، ٥٧ .

ـ بركة الفيل [١] :

من متنزهات مصر التي كان يقصدها الناس للتنزه في أوقات فراغهم، كما جرت عادة سلاطين بني أيوب بالخروج إليها ليلا للتنزه وقضاء أوقات سعيدة وهم في مراكب النزهة على صفحات مياهها، بعد أن يقوم أصحاب المناظر [٢] المطلة على البركة بإنارة ما لديهم من شموع ومسارج وقناديل ؛ لاستقبال السلاطين، فتختلط أضواء الشموع والقناديل بضوء القمر مما يجعل المكان في غاية الروعة والجمال [٣]، وقد زارها ابن سعيد المغربي ووصفها بقوله :

انظُرْ إلى بِرْكَـةِ الفيلِ التي اكْتَنَفتْ ... بها المنَاظِـرُ كالأهْـدَابِ للبَصَرِ

كـأنَّما هـي والأبـصَارُ تَـرْمُقُهَـا ... كَواكِـبٌ قَـدْ أدارُوهَا على القَمَـرِ [٤]

(١) بركة الفيل: وهي بركة كبيرة ذات شكل دائري، تقع فيما بين الفسطاط والقاهرة، بجوار بستان الحبانية، حيث تطل عليها مناظر الكبش الجميلة . المقريزي: الخطط ج ٢، ص ٧٤٧، ابن دقماق: الانتصار ق٢، ص ٤٥ .

(٢) المناظر: جمع منظرة، وهي قصور صغيرة الحجم والمساحة بناها الخلفاء الفاطميون في القاهرة والفسطاط والروضة والقرافة وبركة الحبش، وبركة الفيل، للنزهة وإقامة الاحتفالات في المناسبات العديدة، والإشراف على توديع الحملات الحربية. المقريزي الخطط ج٢، ص٢٩٠.

(٣) ابن سعيد: النجوم الزاهرة ص ٢٦، ابن دقماق: الانتصار ق ٢، ص٤٥ .

(٤) النجوم الزاهرة ص ٢٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٣، ص ٣٦٢ .

ـ قرافة مصر[١] :

كانت من أشهر أماكن التنزه والفرجة، وقد لقيت اهتمامًا كبيرًا من جانب بعض الملوك الأيوبيين، فأسسوا بها المدارس والمساجد والقباب والمشاهد والربط، وقد وصفها ابن جبير عندما زارها بأنها " إحدى عجائب الدنيا "[٢]، وقد كان يخرج إليها العامة والخاصة للتنزه في مختلف المناسبات، وخاصة في الليالي القمرية، وليالي المواسم والأعياد، وليالي الجمع من كل أسبوع، ومعهم الريحان والزهور والطبول، فيقيمون الولائم، ويكثر الغناء والرقص[٣]، وقد زارها ابن سعيد في العصر الأيوبي وبات فيها ليالي كثيرة، وذكر أنها تجمع بين غرضي النزهة والتعبد[٤]،

---

(١) قرافة مصر: يوجد في الفسطاط والقاهرة قرافتان: الكبرى منها ظاهر الفسطاط، والصغرى ظاهر القاهرة، وتقعان في شرق الفسطاط على سفح جبل المقطم، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى بني قرافة، وهم بطن من بطون قبيلة المعافر اليمنية . ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٣١٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣، ص ٢١٨.

(٢) الرحلة ص ١٩ ـ ٢٢ .

(٣) ياقوت: معجم البلدان ج٤، ص ٣١٧، المقريزي: الخطط ج٣، ص ٦٤٦، سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ١٦٩ .

(٤) كان يوجد بالقرافة منازل لأعيان الفسطاط والقاهرة، وقبة الإمام الشافعي، وبها مسجد جامع، وعدد كبير من المساجد والمدارس، وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء، فكان يقصدها العلماء وطلاب العلم، والصوفية والمتبتلون، كما كان يقصدها أهل الخلاعة واللهو، وقد قال فيها ابن سعيد:

إنَّ القَرَافَةَ قَدْ حَوَتْ ضِدْينِ مِن ... دُنْيَا وأُخْرَى فهي نِعْمَ المَنْزِلْ
يَغْشَى الخَلِيعُ بِهَا السَّمَاعَ مُوَاصِلا ... وَيَطُوفُ حَوْلَ قُبُورِهَا المُتَبَتِلْ
كَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا بها ومُدَامُنَا ... لَحْنٌ يَكَادُ يَذُوبُ مِنْهُ الجَنْدَلْ

المغرب في حلى المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، ص ١٠، ١١ .

ووصفها بقوله: " لا تكاد تخلو من طرب، ولاسيما في الليالي القمرية، وهي معظم مجتمعات أهل مصر، وأشهر متنزهاتهم " (١) .

ـ منطقة الأهرام بالجيزة :

كانت متنزهًا جميلا، يقصدها أهل الخلاعة والمجون للتنزه واللهو، وشرب الراح (٢)، كما كان بعض الأدباء يقصدونها للتنزه ومشاهدة ما بها من آثار السابقين، ويسمرون في رحابها، ويتعاطون القول في وصفها (٣)، وقد ذهب إليها العماد الكاتب أثناء زيارته لمصر في سنة ٥٧٢هـ مع بعض الأدباء والعلماء، وقد سبقهم إليها غلمانهم بالخيام، فنزلوا بها للتنزه والاستمتاع برؤيتها، فطاب لهم المقام بها، وتجولوا في البراري والرمال، وشاهدوا أبا الهول، وهالتهم رؤيته، وطافوا حول الأهرام وشاهدوا عجائبها، وتجاذبوا أطراف الحديث حول الأهرام ومن بناها، واجتهدوا في الصعود إلى قمة الهرم الأكبر فلم يستطيعوا (٤) .

ـ خليج القاهرة :

كانت منطقة الخليج من أشهر أماكن التنزه والفرجة التي يخرج إليها أهل القاهرة والفسطاط للهو والتريض وقضاء أوقات الفراغ، وقد بنيت على جانبي الخليج في العصرين الفاطمي والأيوبي العديد من المناظر ومنشآت النزهة التي تطل على الخليج، وكانت المناظر في الجانب الغربي منه تشرف على ما في غربيه من البساتين ومن ورائها النيل، فكان الناس يخرجون للنزهة فيما بين المناظر

(١) المصدر السابق ص ١٠.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي ١١٨ .

(٣) ابن ظافر: بدائع البدائه ص ١٧٩، ١٨٠ .

(٤) البنداري: سنا البرق ص ١٨٨، أبو شامة: الروضتين ج٢، ص٤٤٣ .

والخليج[١]، ويصف لنا المقريزي كثرة اجتماع الناس في منطقة الخليج للتفرج والنزهة، بقوله: "فيجتمع هناك من أرباب البطالة واللهو مالا يحصى عددهم، ويمر لهم من اللذات والمسرات ما لا تسع الأوراق حكايته، خصوصا في أيام النيل"[٢]، ويكثر الإقبال على التنزه في منطقة الخليج في وقت فيضان النيل، وعند الاحتفال بفتحه بعد وفاء النيل، وقد جرت العادة منذ العصر الفاطمي أن يركب الخليفة في موكب رسمي في اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق لفتح الخليج، ويخرج الناس لمشاهدة هذا الموكب، واستمر هذا التقليد في العصر الأيوبي، فكان سلاطين بني أيوب يخرجون في مواكب حافلةٍ لفتحه، ويخرج عامة أهل القاهرة للمشاهدة والاحتفال بهذه المناسبة، التي كانت مجالا رحبًا للتنزه والفرجة، بما يقام فيها من زينة، ومجالس الموسيقى والغناء، وتنزه المتفرجين على مراكب النزهة في الخليج، وغيرها من ضروب الترويح التي كان العامة يجدون فيها الراحة والمتعة، ومتنفسًا من هموم الحياة ومصاعبها، ومما يسترعي الانتباه أنه في كثير من الأحيان كان يصاحب الاحتفال حالة من الخلاعة والمجون والتدني الأخلاقي، حيث اعتاد أهل الخلاعة من الرجال ركوب المراكب ومعهم النساء سافرات الوجوه بأيدهن المزاهر يضربن بها، وأيدي الرجال تنال منهن، وقد حاول العزيز عثمان(ت ٥٩٥ هـ) سلطان مصر من جانبه منع مظاهر التهتك والخلاعة التي كانت تجري في هذا الاحتفال، فصدرت الأوامر في سنة ٥٩٤هـ قبل الخروج لفتح الخليج بمنع ركوب المتفرجين في مراكب النزهة، ومنع ركوب النساء مع الرجال، واستخدمت السلطات العنف في تطبيق هذه القرارات، حيث تم تعليق جماعة من أصحاب المراكب من أيديهم .

(١) ابن سعيد: النجوم الزاهرة ص ٣١، المقريزي: الخطط ج٢، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٩، ٦٠ .

بيد أن هذه الأوامر والإجراءات الصارمة لم تكن لتمنع الناس من أن يتخلوا عما ألفوه، فعندما جرى فتح الخليج في هذا العام، وكان فتحه في شهر رمضان، خرج أهل الخلاعة وذوو البطالة في مراكب، ومعهم النساء سافرات الوجوه وبأيدهن المزاهر يضربن بها، في تحد صارخ لقرارات السلطات الحاكمة، ودون مراعاة منهم لحرمة الشهر الكريم [١] .

وقد ذهب ابن سعيد المغربي إلى هذا الخليج أثناء زيارته لمصر وتفرج فيه، وركب مراكب النزهة [٢]، ووصف ما كان يحدث بين رواده من ضروب اللهو والمجون بقوله : " وقد دخلت الخليج الذي بين القاهرة ومصر ... فرأيت فيه من ذلك العجائب، وربما وقع فيه قتل بسبب السكر، فيمنع فيه الشرب وذلك في بعض الأحيان، وهو ضيق وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهتك والمخالعة، حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به في مركب، وللسرج في جانبيه بالليل منظر فتَّان، وكثيرًا ما يتفرج فيه أهل الستر بالليل" [٣].

ـ دير القصير[٤] :

كان ملتقى أهل الطرب واللهو، ومقصدًا للأدباء والشعراء يتنزهون في حسن منظره، ويطالب بعضهم بعضًا القول في وصف محاسنه، ومن ذلك ما ذكره ابن

(١) المقريزي: الخطط ج ٢، ص ٦٩٩، ٧٠٠.

(٢) النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص ٣٧٢ .

(٣) النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٣١، ٣٢، المقريزي: الخطط ج٢، ص٦٩، ٧٠١ .

(٤) دير القصير: دير حسن البناء، محكم الصنعة، نزه البقعة على ذروة جبل المقطم، مطل على الصحراء والنيل، وله بئر منقورة في الحجر، كان يقصده الأدباء والشعراء وعامة أهل مصر للنزهة، لحسن موضعه وإشرافه على مصر وأعمالها . الشابستي: الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط ٣، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٦ م، ص ٢٨٤، ٢٨٥، ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ، ص ٥٢٦، المقريزي: الخطط: ج ٣، ص ٧٨٩، ٧٩٠.

ظافر الأزدي من أنه مضى هو وشهاب الدين يعقوب[١]، والقاضي الأعز بن المؤيد[٢] في جماعة من أصحابهم إلى دير القصير، فلما قضوا وطرهم من التنزه في حسن منظره، تعاطوا القول في وصفه على عادة الخلعاء وظرفاء الأدباء، ومجان الشعراء فقال الشهاب :

سقَى الله يَوْمِي بِدَارِ القصير قَصِيرُ العزالي طويلُ الذُيُولِ

مَحَلٌ إذا لَاحَ لِي لَمْ أقِفْ بِصَحْبِي عَلَى حَومَلَ فالدُخُولِ

فقال ابن ظافر :

فَكَمْ فيهِ مِنْ قَمَرٍ في دُجَى علَى غُصْنٍ في كثيبٍ مَهِيلِ

بلَحْظٍ صَحِيحٍ وَطَرْفٍ سَقِيمٍ ورَوْحٍ خَفِيفٍ وَرِدْفٍ ثقيلِ

فقال الأعز:

قَطَعْتُ بِهِ العَيْشَ مَعَ فِتْيَةٍ صُباحِ الوُجُوهِ كِرَامِ الأصُولِ

بكلِ كَرِيمٍ قَصيرُ المِرَاءِ حَازَ المَعَالِي بِبَاعٍ طَوِيلِ[٣]

---

(١) هو شهاب الدين يعقوب ابن أخت نجم الدين بن المجاور وزير السلطان العزيز عثمان، شاعرٌ مصري، انعقدت الصداقة بينه وبين ابن ظافر الأزدي، وروى عنه وترافقا معا في السفر إلى الإسكندرية وبيت المقدس، وقد ذكر كثيرًا من أخباره . انظر: بدائع البدائه ص٥١، ٧١، ٧٩، ٨٧، ٩٦، ١٢٦، ١٣٧، ١٥٥ .

(٢) هو القاضي الأعز أبو الحسن علي بن المؤيد الغساني، من أدباء العصر الأيوبي، كان يقيم بالإسكندرية، ويتردد على القاهرة، وانعقدت الصداقة بينه وبين ابن ظافر الأزدي، وقد ذكر كثيرًا من أخباره . انظر: بدائع البدائه ص ٥٢، ٧١، ٧٩، ٨٧، ١٢٦، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٥.

(٣) بدائع البدائه ص ١٥٥، المقريزي: الخطط ج ٣، ص ٧٨٩، ٧٩٠ .

وإلى جانب دير القصير وجدت العديد من الأديرة التي كان يرتادها الأدباء وغيرهم للتنزه وقضاء أوقات سعيدة مما لا يتسع المجال لذكره .

ـ التنزه في بلاد الشام :

أما بلاد الشام فقد تميزت هي الأخرى بجمالها، وكثرة ينابيعها وأنهارها وبساتينها، وقد استغل الشاميون جمال طبيعة بلادهم أحسن استغلال، وتفاعلوا مع هذا الجمال، فكان أهل دمشق يولون النزهات أهمية كبيرة في حياتهم، ومن أجل هذا وصفهم القزويني[١] بقوله: "وأهل دمشق أحسن الناس خَلْقًا وخُلِقًا وزيًّا، وأميلهم إلى اللهو واللعب " .

وكان يوم السبت عندهم من أكثر أيام الأسبوع تنزهًا وبهجةً، وقد جرت عادتهم على اتخاذه عطلة رسمية لا يعملون فيه عملا، بل يتخذونه يوم لهو ومرح[٢]، يتحللون فيه من القيود، فلا يبق للسيد على مملوكه سيطرة، ولا للوالد على ولده، ولا للزوج على زوجته، ولا للأستاذ على تلميذه، فإذا كان أول النهار يطلب كل واحد منهم نفقة يومه، ثم يخرج الجميع إلى المتنزهات العامة وشطوط الأنهار، ودوحات الأشجار بين البساتين والأنهار الجارية، ويلتقي كل بمن على شاكلته، المملوك مع إخوانه من المماليك، والصبي بأترابه من الصبيان، والزوجة بأمثالها مع النساء، والرجل بأصدقائه من الرجال، يخرجون إلى ميادين دمشق ومتنزهاتها فيقضون يومهم في أحضان الطبيعة الخلابة، ومشاهدة ألعاب الفروسية من سباق للخيل، ولعب الكرة والصولجان، والتفرج على العروض المختلفة التي

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٩١ .

(٢) أبو شامة: ذيل الروضتين ص ٤٩ .

يقدمها المصارعون، والمشعبذون والمضحكون، وأصحاب خيال الظل، وسماع الغناء، وكل ما يتلذذ به السمع ويسر العين وتشتهيه النفس [١] .

أما أعيان دمشق من القضاة والأطباء وأثرياء القوم فكانوا يتخذون من جناتهم وبساتينهم التي تحوي قصورهم مكانًا للنزهة والراحة والمتعة، ومكانًا لاجتماعهم مع أصدقائهم، يقضون فيه يوم السبت في راحة ومتعة يتناقشون في المسائل العلمية، ويتناشدون الأشعار، ويتبادلون النوادر والملح، ويستمعون إلى الغناء [٢]، وقد اشتهر عن الطبيب رضي الدين الرحبي(ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣م)[٣] أنه لزم في سائر أيامه أشياء لا يخل بها، ومن ذلك أنه كان يجعل يوم السبت أبدًا لخروجه إلى بستانه للراحة والنزهة، ويتخذه يوم عطلة عن العمل [٤] .

وقد زار الرحالة ابن سعيد المغربي دمشق في هذا العصر، وشاهد ما اعتاده أهلها في يوم السبت، ووصف ما كان يجري في هذا اليوم بقوله:" وأهل دمشق قد اختصوا بيوم السبت، يعطلون في هذا اليوم من الجمعة جميع أشغالهم، ويخرجون

(١) القزويني: المصدر السابق نفسه، ابن سعيد: الغصون اليانعة ص ١٤٣.

(٢) القزويني: المصدر السابق نفسه، الذهبي: تاريخ الإسلام ج١٤، ص ٦٣ .

(٣) رضي الدين الرحبي: هو أبو الحجاج يوسف بن حيدرة الرحبي، طبيب مشهور من أطباء دمشق، ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى دمشق، واشتغل بدراسة الطب، وأتقن الصناعة الطبية، اتصل بصلاح الدين، وأطلق له كل شهر ثلاثين دينارا نظير عمله في البيمارستان النوري، وتردده على الدور السلطانية في قلعة دمشق، ترك العديد من الكتب الطبية، توفي بدمشق سنة ٦٣١ هـ . ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٦٧٢ ـ ٦٧٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ج١٤، ص ٢٦، ٦٣ .

(٤) أبن أبي أصيبعة: المصدر السابق ص ٦٧٤، الذهبي: المصدر السابق نفسه .

إلى هذا الميدان (يقصد الميدان الأخضر) فقوم يلعبون بالصوالج، وآخرون يغنون السماع، وكل أحد فيما مال إليه هواه، لا مثرب ولا منتقد " [١] .

وقد أصبح خروج أهل دمشق للمتنزهات يوم السبت واتخاذهم إياه يوم عطلة عن الأعمال مادة خصبة للأدباء والشعراء، فأسهبوا في وصف أيام السبوت في دمشق وما كان يجري فيها، ومن ذلك ما جاء على لسان ابن سعيد المغربي يمدح دمشق ويصف أيام السبوت بها قائلا :

أما دمشق فما في الأرض مُشْبِهُهَا ... جَنَّات عَدْنٍ بها ما يَشْتهي البَشَرُ

أرْضٌ لَعَمْرك ما فيها لمُبتذلٍ ... ذامٌ يَلُوم ولا في صَفْوهَا كَدَرُ

وكلُّ سَبْتٍ بهَا عِيدٌ تعُود بِه ... آمالُهم وبه الزلَّات تُغْتَفَرُ

كلٌّ إلى ما دَعتْه نَفْسُهُ عَجِلٌ ... كأنَّما فُرْصةً قَدْ جّاءَ يَبْتَدرُ

حيثُ الميَادينُ كالدِّيباجِ قَدْ بُسطت ... خُضْرًا جَرَتْ حَوْلَهَا من مائها طُرَرُ

بِهَا النعيمُ غَدَا للنَاسِ مُكْتَمِلًا ... مُطوَّلا وهو في الآفَاقِ مُخْتَصَرُ [٢]

▪ متنزهات الشام :

تعددت أماكن النزهة التي كان يخرج إليها أهل الشام في العصر الأيوبي ومن أهمها :

▪ الميدان الأخضر بدمشق :

كان إلى جانب كونه مكانًا لتدريب الجنود، وتجميعهم واستعراضهم، كان أيضا متنزهًا عامًا، يقصده العامة من أهل دمشق يوم السبت من كل أسبوع فيقضون فيه يومهم في اللهو والمرح، ومشاهدة ألعاب الفروسية من سباق للخيل،

(١) الغصون اليانعة ص ١٤٣ .

(٢) الغصون اليانعة ص ١٤٤.

ولعب الكرة والصولجان، وسماع الغناء، وكل ما يتلذذ به السمع ويسر العين وتشتهيه النفس [١] .

ـ صحن الجامع الأموي :

كان من المتنزهات العامة التي يقصدها أهل دمشق كل يوم، وقد أشار ابن جبير إلى هذا بقوله : "من أجمل المناظر وأحسنها، وفيه مجتمع أهل البلد، وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية، تراهم فيه ذاهبين راجعين ... منهم من يتحدث مع صاحبه، ومنهم من يقرأ، لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع إلى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون ... لا يزالون على ذلك كل يوم " [٢].

ـ متنزه الجبهة[٣] :

كانت مقصدا للتمتع بالمناظر الخلابة وجمال الطبيعة، فجداول الماء تحيط بها من أربع جهات من البرك والبحيرات، وبها النواعير والحوانيت للطباخين [٤] .

ـ متنزه الربوة [٥] :

من أجمل متنزهات دمشق، وقد وصفها ابن جبير بقوله : " من أبدع مناظر الدنيا حسنًا وجمالا وإشراقًا، وإتقان بناء، واحتفال تشييد، وشرف وضع " [٦] وقد كان أهل دمشق يخرجون إليها يوم السبت للتنزه، ومشاهدة حلق المشعوذين

(١) ابن جبير: الرحلة ص٢٣٥، القزويني: آثار البلاد ص ١٩١، ابن سعيد: الغصون اليانعة ص ١٤٣.
(٢) رحلة ابن جبير ص ٢١٥ .
(٣) الجبهة: تقع على حافة نهر بردى، وهي أرض مربعة مساحتها فدانان، عليها سقائف تظللها بين شجر الصفصاف والجوز، وتحيط بها جداول الماء من أربع جهات من البرك والبحيرات، وبها حوانيت الطعام والشراب . البدري: نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١ هـ ص ٧٧، ٧٨ .
(٤) البدري: المصدر السابق ص ٧٧ ـ ٧٩ .
(٥) الربوة: تقع على السفح الغربي لجبل قاسيون، وهي أعظم متنزهات دمشق، تحيط بها البساتين من جهاتها الأربع . ياقوت: معجم البلدان ج ٣، ص ٢٦، القزويني: آثار البلاد ص ١٩١ .
(٦) الرحلة ص ٢٢٣ .

والحواة، وخيال الظل وغيرها . إلى غير ذلك من متنزهات دمشق التي حفلت بالطبيعة الخلابة، والتي لا يتسع المجال لذكرها [١] .

▪ مدينة حارم :

من متنزهات الشام، كانت متنزها جميلا يرتاده بعض سلاطين بني أيوب، فكان الملك العزيز محمد سلطان حلب يكثر من الخروج إليها للتنزه والصيد ورمي البندق، وكان له بها جوسق [٢] نزه، تحته نهر جار، وإلى جانبه بستان [٣] .

ومن هذا العرض يتضح لنا أن الخروج إلى المتنزهات في هذا العصر كان وسيلة من وسائل الترفيه، كان يجد فيها أبناء المجتمع المصري والشامي متنفسا لهمومهم، والاستمتاع بمناظر الطبيعة وجمالها الساحر، ومجالا للهو والمرح وقضاء أوقات الفراغ بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها. كما يتضح لنا أن خروج الناس إلى تلك المتنزهات كان يشوبه بعض المظاهر السلبية من التهتك والانحلال الأخلاقي، واختلاط الرجال بالنساء، وشرب للخمر، وقد حاولت السلطات الأيوبية من جانبها الحد منها، واتخذت العديد من الإجراءات الصارمة لمنعها، بيد أن هذه الإجراءات لم تكن لتمنع الناس من أن يتخلوا عما ألفوه .

---

(١)انظر حديثًا مفصلا عن هذه المتنزهات في: البدري: نزهة الأنام في محاسن الشام ص٦٢ وما بعدها، محمد كرد علي: غوطة دمشق، الطبعة الثانية، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م . ص ٦٨ ـ ٧٨ .

(٢) الجوسق: لفظ فارسي معرب يعني القصر الصغير، وقيل: أصله القصر في داخل البستان.ابن منظور: لسان العرب باب: (الجيم) مادة: (جسق) المقريزي: الخطط ج ٣، ص ٦٦٨ .

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج٥ ص ١١٥، ١١٦، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ج٢، ص ١٣٥. ١٣٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه وتسديده تبلغ المقاصد والغايات، وبإحسانه المتواصل لعباده المؤمنين يرتفعون إلى أعلى الدرجات، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الشكر الجميل كما ينبغي لجلاله العظيم . وبعد، ،

فلعلي بعد هذا القدر من البحث والدراسة أكون قد ألقيت الضوء على جانب له أهميته في تاريخ الدولة الأيوبية، والكشف عن بعض جوانبه التي تلامس مشاعر الناس وتمس أحاسيسهم، وقد حاولت قدر طاقتي أن أستوعب أطرافه، وألم أشتاته المتفرقة، ما وسعني الجهد في ذلك، رغم ندرة الإشارات المصدرية، وقد تحريت الدقة في كل ما ذكرت من خلال الاعتماد على المصادر الأصيلة الموثوقة، وقد اتضح لي من خلال هذا البحث العديد من النتائج من أهمها :

١. أوضح البحث أنه إذا كان لأبناء المجتمع المصري والشامي في العصر الأيوبي تاريخ حافل بآلامهم ومتاعبهم ؛ بسبب الظروف القاسية التي مرت بها البلاد من جراء الهجمات الخارجية المتمثلة في الحروب الصليبية، والكوارث والفتن الداخلية التي ألمت بالبلاد في بعض الفترات، إلا أن صورة المجتمع في ظل تلك الظروف القاسية لم تكن كلها سوداوية، فهناك أيضًا جانب مشرق لهذه الصورة، وهناك أوقات سرور وفرح انصرف الناس خلالها إلى ممارسة ضروب من الرياضات البدنية والذهنية النابضة بالإمتاع والانتفاع، كلون من ألوان الترفيه الجاد، والتخفيف من ضغوط الحياة المختلفة .

٢. أثبت البحث أن الصيد كان رياضة محببة إلى سلاطين بني أيوب وأمرائهم، ووسيلة من وسائل الترفيه التي أحبوها وبالغوا في الاهتمام بها، ومارسوها على نطاق واسع كرياضة بدنية، تدربوا على إتقانها، وعدوها مظهرًا من مظاهر الشجاعة والفروسية، ولونًا من ألوان الحرب يقوم على الكر والفر، وأفادوا منها ترفيهيًا وحربيًا .

٣ . بين البحث أن صلاح الدين كان من أكثر سلاطين بني أيوب شغفًا بالصيد، على الرغم من أنه قضى معظم حياته مجاهدًا في ساحات القتال، ومكرسًا جهوده للتصدي للعدوان الصليبي، ومع هذا لم تشغله حروبه مع الصليبيين، ومشاغل الحكم وهمومه عن الاهتمام بالصيد، فخصص له شطرًا من حياته، وانصرف إليه في وقت فراغه، ورغم شغفه به لم يشغله عن عبادته أو جهاده، ولا عن تدبير سلطنته ومصالح رعيته .

٤ . أكد البحث أن صلاح الدين لم يكن يمارس الصيد بقصد اللهو واللعب، وطلبًا للمتعة والراحة، واستجمامًا للنفس وإذهابًا لهمومها حتى يرجع إليها نشاطها وتقوى على مواصلة الجهاد فقط، وإنما كان يراه جزءًا من نشاطه الجهاديِّ، وتدريبًا للخيل على الكَرِّ والفَرِّ، وفنًا من فنون الفروسية التي تساعد على اكتساب السرعة وخفة الحركة، وإتقان أساليب الكر والفر، والدقة في إصابة الهدف، والتدرب على مواجهة الأعداء، كما استخدمه كغطاء لتنفيذ بعض الحملات العسكرية السريعة للنكاية في الأعداء .

٥ . ارتبط الصيد عادة بالسلاطين والأمراء وعلية القوم من الوزراء والكتاب ؛ لكثرة ما يتطلبه من كثرة النفقات على أدواته من خيل وبزاة، والقدرة على توفير مستلزماته، والمهارة فيه .

٦. أثبت البحث أن الاهتمام بالصيد لم يقتصر على سلاطين بني أيوب فقط، وإنما شاركت طوائف أخرى من الأمراء والأدباء في ممارسته التماسًا للترفيه والترويح، ولعل هذا الانتشار الواسع يعكس لنا مقدار المساحة المخصصة لهذا اللون من ألوان الترفيه، في عصر غلب على أحداثه غبار المعارك، وصهيل الخيول، وصليل السيوف، وزمجرة الفرسان، وقعقعة السلاح، ودماء القتلى، وأنات الجرحى، ومعانات الأسرى .

٧. بين البحث أن رياضات الفروسية احتلت مكانةً كبيرةً بين الألعاب الرياضية في هذا العصر، فشغف بها السلاطين والأمراء ورجال الطبقة العسكرية، ومثلت جزءًا هامًا في حياتهم، وأن مما عمق الاهتمام بهذه الرياضات روح الجهاد التي سيطرت على الناس حكامًا ومحكومين، وحماستهم الزائدة إلى النفير وتلبية داعي الجهاد، ولا يتم ذلك إلا لمن توفرت فيه مؤهلات الفروسية .

٨ . أوضح البحث أن رياضات الفروسية بمختلف أنواعها لم تكن مجرد رياضات تمارس بغرض التسلية والترفيه، وتزجية أوقات الفراغ فقط، وإنما كانت رياضات تدريبية مهمة، تؤهل صاحبها ليكون فارسًا عظيمًا، يعتمد عليه في خوض غمار الحروب .

٩ـ أثبت البحث أن رياضة الكرة والصولجان انتشرت بصورة كبيرة، ومثلت جزءًا مهمًا في حياة رجال الطبقة العسكرية من السلاطين والأمراء والجنود، وأنها كانت لونًا محببًا من ألوان الترفيه، وجد فيه رجال هذه الطبقة مجالًا رحبًا للراحة والمتعة، ومتنفسًا لما عانوه من ويلات الحروب وهموم الحياة، وأن ممارستها لم تكن للترفيه فقط، وإنما كانت رياضةً بدنيةً يروضون بها أجسامهم وخيولهم، فضلا عن أن ممارستها تساعد على اكتساب مهارات القوة والسرعة والمراوغة، والدقة في إصابة الهدف، وإكساب الخيول القوة والمرونة في الحركة .

١٠. لم تقتصر الرياضات التي مارسها سلاطين بني أيوب وأبناء المجتمع المصري والشامي على رياضات الفروسية فقط، وإنما مارسوا رياضات بدنية وذهنية أخرى مثل : المصارعة، والسباحة، ولعبة الشلاق، ولعبة الشِّطْرَنْج والنرد، وقد مثلت هذه الرياضات والألعاب وجهًا مضيئًا من وجوه المسرات التي تجري في أوقات الفراغ .

١١ . أكد البحث أن الخروج إلى المتنزهات كان وسيلة من وسائل الترفيه، التي كان يجد فيها أبناء المجتمع المصري والشامي متنفسًا لهمومهم، والاستمتاع بمناظر

الطبيعة وجمالها الساحر، ومجالا للهو والمرح، وقضاء أوقات الفراغ بعيدًا عن مصاعب الحياة وهمومها.

١٢ـ أثبت البحث أن خروج الناس إلى تلك المتنزهات كان يشوبه بعض المظاهر السلبية من التهتك والانحلال الأخلاقي، واختلاط الرجال بالنساء، وشرب للخمر، والتي حاولت السلطات الأيوبية من جانبها الحد منها، واتخذت العديد من الإجراءات الصارمة، بيد أن هذه الإجراءات لم تكن لتمنع الناس من أن يتخلوا عما ألفوه .

وفي الختام أدعو الله ـ ﷻ ـ أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الكريم إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الملاحق

ملحق رقم (١) منظر لصياد يركب على صهوة جواده، وفي يده قوس يشده ليطلق منه سهما، ويجلس خلفه على الجواد فهد الصيد .

شمعدان ابن فتوح الموصلي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة

نقلا عن

عبد العزيز صلاح سالم : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي ج ١ التحف المعدنية ص٣٤١

توضيح للصورة الموجودة على الشمعدان

ملحق رقم (٢) منظر للصيد على الخيول، وهي في أوضاع مختلفة .

طست الملك الصالح نجم الدين أيوب بالفرير جاليري بواشنطن

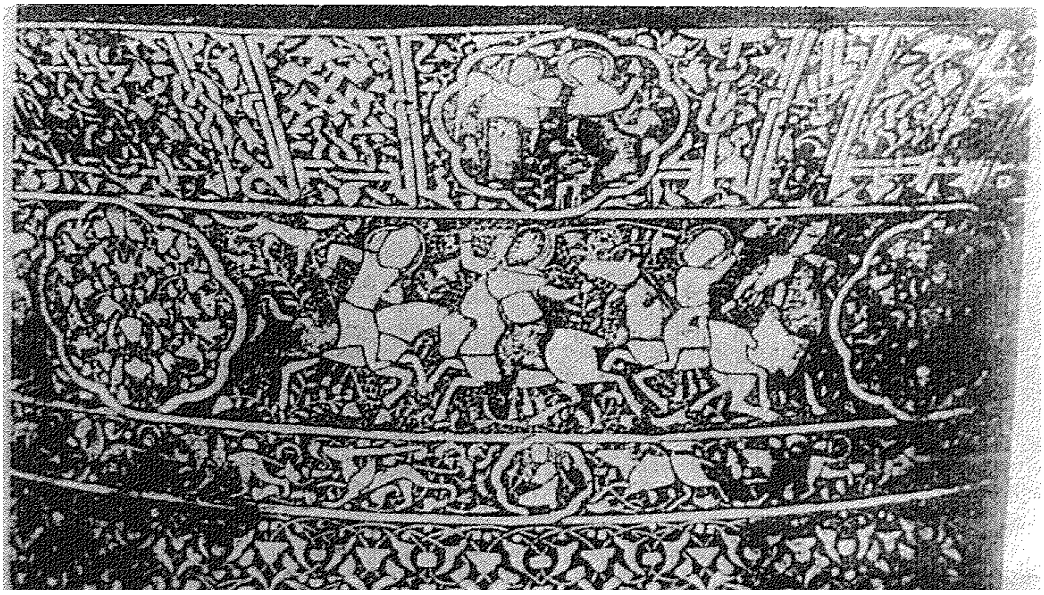

تفاصيل لزخارف الطست السابق

نقلا عن

عبد العزيز صلاح سالم : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي ج ١ التحف المعدنية ص ٣٤٨ .

ملحق رقم (٣) منظر للمصارعة بين شخصين .

منظر للمصارعة على السطح الخارجي لطست الملك العادل الثاني

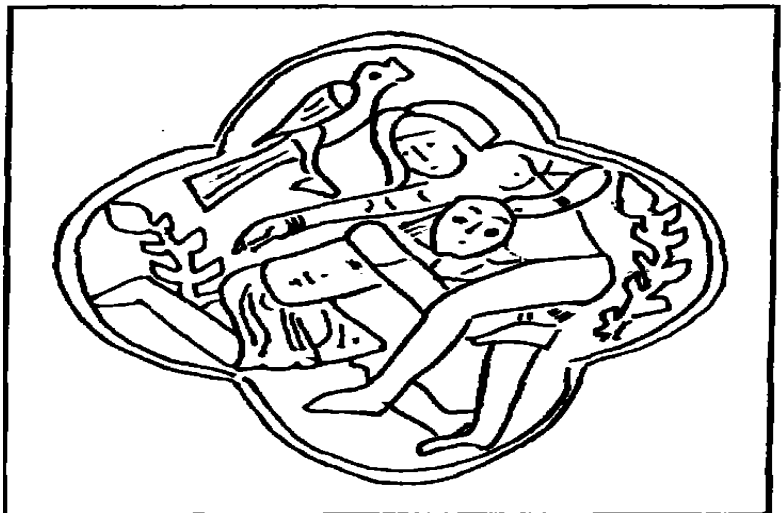

توضيح منظر المصارعة السابق

نقلا عن

عبد العزيز صلاح سالم : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي ج ١التحف المعدنية ص ٣٤٥، ٣٧٨ .

ثبت المصادر والمراجع

. القرآن الكريم. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢

أولا ـ المصادر المطبوعة :

* **ابن الأثير**: (ضياء الدين على بن محمد بن عبد الكريم ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)

١ ـ رسائل ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أنيس المقدسي، مطبعة بيروت١٩٠٦م.

* **ابن الأثير**: (عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م)

٢ ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م.

٣ ـ الكامل في التاريخ، م١٠، راجعه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

*ابن أبي أصيبعة: (موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي ت٦٦٨هـ/١٢٦١م)

٤ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت ١٩٦٥ م.

* **ابن إياس**: (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ /١٥٢٤م)

٥ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

* **ابن أيبك الدواداري**:(أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري ت بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)

٦ـ كنز الدرر وجامع الغرر(الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م، (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية) تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

* **أيدمر المحيوي**: (أيدمر بن عبدالله المحيوي التركي ت ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م)

٧ ـ مختار ديوان أيدمر المحيوي، تحقيق: أحمد نسيم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣١ م.

* **البـــدري**: (أبـو البقـاء عبـدالله بـن محمـد البـدري المصـري الدمشـقي ت ٨٩٤ هـ / ١٤٩٨م)

٨ ـ نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة ١٣٤١ هـ .

* **البنداري**: (الفتح بن علي بن محمد البنداري ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م)

٩ ـ سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة١٩٧٩م.

* **البهاء زهير**: (أبو الفضل زهير بن محمد بن علي ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م)

١٠ ـ ديوان البهاء زهير، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، محمد طاهر الجبلاوي، سلسلة ذخائر العرب ٥٣، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٢ م .

* **ابـــن تغـــري بـــردي**: (جمـال الدين أبـو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م)

١١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ج ٧، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣ م.

* **ابن جبير**: (أبو الحسن محمد بن أحمد ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

١٢. رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار والمناسك المعروف بـ (رحلة ابن جبير)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١ م .

* **الحنبلي**: (أحمد بن إبراهيم الحنبلي ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م)

١٢. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٦م .

* **ابن حنبل**: (أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي ت٢٤١ هـ / ٨٥٥ م)

١٣ . المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .

* **ابن خلكان**: (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الإربلي ت٦٨١ هـ /١٢٨٢ م)

١٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت . لبنان١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م.

* **ابن دقماق**: (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)

١٥ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، ج١، ج٢، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة بولاق١٣١٠ هـ / ١٨٩٣م .

* **الدميري**: (كمال الدين محمد بن موسى الدميري ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)

١٦ـ حياة الحيوان الكبرى ج ٣، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

١٧ـ النجم الوهاج في شرح المنهاج، ج ٩، دار المنهاج، الطبعة الأولى، جدة ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م .

* **الذهبي**: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤م)

١٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المجلدات ١٢، ١٣، ١٤، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

*ابن الساعاتي: (أبو الحسن علي بن محمد بن رستم الخراساني ت ٦٠٤ هـ /١٢٠٧م)

١٩ـ ديوان ابن الساعاتي، تحقيق: أنيس المقدسي، المطبعة الأميركانية، بيروت ١٩٣٨م .

* سبط ابن الجوزي : (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأغلي ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)

٢٠. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ج ٢١، ج٢٢، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م .

* ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع البصري ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م)

٢١ . كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .

* ابن سعيد المغربي: (أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)

٢٢ . الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، سلسلة ذخائر العرب رقم ١٤، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ .

٢٣ . المغرب في حلى المغرب، القسم الخاص بمصر(الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط)، تحقيق: زكي محمد حسن وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٤ . النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب: (المغرب في حلى المغرب) تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ م .

* **ابن سناء الملك** : (أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م)

٢٥ . ديوان ابن سناء الملك، ج٢ تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩ م .

* **السيوطي**: (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

٢٦ . حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .

***الشابستي** : (أبو الحسن علي بن محمد ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨ م)

٢٧ . الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٦ م .

***أبو شامة**: (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م)

٢٨ . ذيل الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٤ .

٢٩ . الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، خمسة أجزاء، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م .

* **ابن شاهنشاه**: (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ت ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠ م)

٣٠ . مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦٨م .

*ابن شداد: (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م)

٣١ . النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

* ابن شداد: (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي ت٦٨٤هـ / ١٢٨٥ م)

٣٢ . الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين) ج٢، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق ١٣٨٢هـ /١٩٦٢، (القسم الخاص بحلب) ج ١ ق١، تحقيق: دومينيك سورديل، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٢ م .

*ابن الشعار الموصلي: (كمال الدين أبو البركات المبارك بن أحمد الموصلي ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م)

٣٣ . قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥ م .

* الصفدي : (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)

٣٤ . الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م .

* ابن طبا طبا: (أبو جعفر محمد بن علي بن طبا طبا ت٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

٣٥ . الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .

* ابن ظافر: (أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين الأزدي ت ٦١٣ هـ /١٢١٦م)

٣٦ . بدائع البدائه، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .

* **ابن عبد الظاهر**: (محي الدين عبدالله بن رشيد الدين ت ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م)

٣٧ . الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، الطبعة الأولى، الرياض ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٣٨ . الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٧ / ١٩٩٦ م .

* **ابن العديم**: (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١ م)

٣٩ . بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سيهل زكار، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ .

٤٠ . زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

* **ابن العماد** : (أبو الفلاح عبدالحي أحمد بن محمد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨ م)

٤١ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مجلد ٧ تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، دمشق . بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

* **العماد الأصفهاني** :(محمد بن محمد بن عبدالله بن علي ت٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م)

٤٢ . حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس المسمى بـ (الفتح القسي في الفتح القدسي)، دار المنار، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م .

٤٣ . ديوان العماد الكاتب، تحقيق: ناظم رشيد، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٣.

٤٤ . خريدة القصر وجريدة العصر(بداية قسم شعراء الشام)، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، (قسم شعراء الشام) ج ١، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م، (قسم شعراء مصر)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهر ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥ م، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٥١ م .

*العمري : (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩م)

٤٥ . التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

٤٦ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١٠، ج ١٦، ج ١٨، ٢٧، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٠ م .

* ابن عنين: (أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين الدمشقي ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

٤٧ . ديوان ابن عنين، تحقيق: خليل بك مردم، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، بدون تاريخ .

* العيني : (بدر الدين محمود العيني ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)

٤٨ . عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي) تحقيق: محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤٣١ هـ /٢٠١٠ م.

* أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)

٤٩ . تقويم البلدان، تصحيح: رينود، والبارون ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس١٨٥٠م .

٥٠ . المختصر في أخبار البشر، ج ٣، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، يحيى سيد حسين، سلسلة ذخائر العرب رقم ٦٩، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩ م .

*ابن الفرات: (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات الحنفي ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م)

٥١ . تاريخ ابن الفرات، م٤، ج١ حوادث ٥٦٣ . ٥٨٨ هـ، ج٢ حوادث ٥٨٧ . ٥٩٩ هـ، م٥، ج ١ حوادث ٦٠٠ . ٦١٥، تحقيق: حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة ١٩٦٧، ١٩٩٦، ١٩٧٠ .

* القزويني : (زكريا بن محمد بن محمود القزويني ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)

٥٢ . آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

*القلقشندي : (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

٥٣ . صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الأجزاء ٢، ٣، ٤، ٥، ١٤، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م .

* ابن قيم الجوزية: (شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠م)

٥٤ . الفروسية، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن، دار الأندلس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، السعودية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م .

*الكتبي: (محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)

٥٥ . فوات الوفيات والذيل عليها، خمسة أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٣ م.

* ابن كثير: (أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ / ١٢٧٢ م)

٥٦ . البداية والنهاية ج ١٦، ج ١٧، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

* **مسلم** : (أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م)

٥٧ . الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت١٤١٢هـ /١٩٩١ م .

* **المقـــري** : (أحمد بن محمد المقَّري التلمساني ت ١٠٤١ هـ / ١٧٢٨ م)

٥٨ . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٢، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

* **المقـريـــزي** : (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)

٥٩ . السلوك لمعرفة دول الملوك ج١، ق١، ق ٢، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٦م.

٦٠ . المقفى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٦١ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ (الخطط المقريزية) تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٨ م .

*ابـــن منظـــور: (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)

٦٢ . لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ .

*ابن منقذ: (أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م)

٦٣ . الاعتبار، تحقيق: فليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ .

. ابن منكلي: (جلال الدين محمد بن محمود بن منكلي بوغا ت ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)

٦٤ . أنس الملاح بوحش الفلا، نشر فلوريان فرعون، مطابع باريس ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠ م .

* **ابن النبيه**: (كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن ت ٦١٩هـ / ١٢٢٢م)

٦٥ . ديوان ابن النبيه، تحقيق: عمر محمد الأسعد، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٦٩م .

* **ابن نظيف الحموي**: (أبو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز الحموي ت ق ٧ هـ/ ١٣ م)

٦٦ . التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) تحقيق: أبو العيد دودو، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الحجاز، دمشق ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

* **النويري**: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت ٧٣٣ هـ /١٣٣٢م)

٦٧ . نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢٨، ٢٩، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤ م .

* **ابن واصل**: (جمال الدين محمد بن سالم الحموي ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م)

٦٨ . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ١، ج ٢، ج ٣، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣م، ١٩٦٠م، ج ٤، ج ٥ تحقيق: حسنين محمد ربيع، القاهرة ١٩٧٢م، ١٩٧٥م، ج ٦ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٥/ ٢٠٠٤ م .

* **ابن الوردي** : (زين الدين عمر بن مظفر بن عمر ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

٦٩ . تاريخ ابن الوردي، ج ٢، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

* **ياقوت** : (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٧٠ . معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٤ هـ /١٩٩٣ م .

٧١ . معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .

* **اليونيني**: (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد البعلبكي ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)

٧٢ . ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، الهند ١٣٧٤هـ /١٩٥٤ م .

ثانيا ـ المراجع :

* **أحمد أحمد بدوي** (**دكتور**)

٧٣ . الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، بدون تاريخ .

* **أحمد تيمور باشا**

٧٤ . لعب العرب، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

* **سعيد عبد الفتاح عاشور** (**دكتور**)

٧٥ . مصر في عصر دولة المماليك البحرية، سلسلة الألف كتاب، العدد ٢٢٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م.

* **سوفاجيه**:

٧٦ . دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م.

* **عبد العزيز سيد الأهل**:

٧٧ . أيام صلاح الدين، التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، الكتاب العاشر، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

* **عبدالعزيز صلاح سالم** (**دكتور**)

٧٨ . الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج١ التحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م .

* **عطية القوصي** (**دكتور**)

٧٩ . المسلمون والشطرنج دراسة تاريخية، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥ م .

* **لطفي أحمد نصار** (**دكتور**)

٨٠ . وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، سلسلة تاريخ المصرين رقم ١٤١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

* **محمد أحمد دهمان**:

٨١ . معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .

* **محمد رمزي** :

٨٢ . القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، ق١، ق٢، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م.

* **محمد زغلول سلام**: (**دكتور**)

٨٣ ـ الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الطبعة الثالثة، الإسكندرية ١٩٩٠م.

* **محمد الششتاوي**:

٨٤ ـ ميادين القاهرة في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

* **محمد عبدالعزيز مرزوق**: (**دكتور**)

٨٥ ـ الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، المكتبة الثقافية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م.

* **محمد فتحي الشاعر**: (**دكتور**)

٨٦ ـ الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧م.

* **محمد كرد علي**:

٨٧ ـ غوطة دمشق، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، مطبعة الترقي، الطبعة الثانية، دمشق ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢م.

* **محمد ياسين الحموي**:

٨٨ ـ دمشق في العصر الأيوبي، المطبعة الهاشمية بدمشق، دمشق ١٩٤٦م.

* **نظير حسّان سعداوي**: (**دكتور**)

٨٩ ـ جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٥٦م.

ثالثا ـ الأبحاث والرسائل العلمية :

***أحمد عبد الرازق أحمد**: (**دكتور**)

٩٠. وسائل التسلية عند المسلمين ـ بحث في كتاب: (دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري)، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.

***فادي عبد الرحيم محمود عودة**:

٩١ـ الحركة الشعرية في بلاط الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز(٦٣٤ ـ ٦٥٨هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس٢٠١٠م.

رابعا ـ الدوريات:

***صلاح حسين العبيدي**: (**دكتور**)

٩٢ ـ الصيد والقنص في المصادر الأثرية في العصر العباسي، مجلة المورد، مجلة فصلية تراثية، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني صيف ١٩٨٥م.

فهرست موضوعات البحث

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص باللغة العربية	٢١٦٩
ملخص باللغة الإنجليزية	٢١٧١
المقدمة	٢١٧٣
المبحث الأول : *رياضة الصيد*	٢١٧٩
رياضة الصيد	٢١٧٩
صلاح الدين ورياضة الصيد :	٢١٨٠
خلفاء صلاح الدين ورياضة الصيد	٢١٨٨
اهتمام الوزراء والكتاب بالصيد	٢١٩٨
طرق الصيد وأدواته	٢٢٠١
مناظر الصيد على المنتجات الفنية	٢٢٠٣
المبحث الثاني ألعاب الفروسية	٢٢٠٥
سباقات الخيل	٢٢٠٦
الرماية والمبارزة واللعب بالرمح	٢٢١١
الكرة والصولجان (البولو)	٢٢١٥
المبحث الثالث الرياضات والألعاب الأخرى	٢٢٢٨
المصارعة	٢٢٢٨
السباحة	٢٢٣٠

لعبة الشلاق	٢٢٣٥
لعبة الشِّطْرَنْج	٢٢٣٦
لعبة النَّرْد	٢٢٤٠
المبحث الرابع التنزه والمتنزهات	٢٢٤٤
سلاطين بني أيوب والتنزه	٢٢٤٤
الأدباء والتنزه	٢٢٤٨
العامة والتنزه	٢٢٥١
متنزهات القاهرة والفسطاط	٢٢٥٤
نهر النيل	٢٢٥٤
جزيرة الروضة	٢٢٥٤
بركة الجب	٢٢٥٦
بركة الحبش	٢٢٥٧
بركة الفيل	٢٢٥٨
قرافة مصر	٢٢٥٩
منطقة الأهرام بالجيزة	٢٢٦٠
خليج القاهرة	٢٢٦٠
دير القصير	٢٢٦٢
التنزه في بلاد الشام	٢٢٦٤
متنزهات الشام	٢٢٦٦
الميدان الأخضر بدمشق	٢٢٦٦
صحن الجامع الأموي	٢٢٦٧

متنزه الجبهة	٢٢٦٧
متنزه الربوة	٢٢٦٧
مدينة حارم	٢٢٦٨
الخاتمة	٢٢٦٩
الملاحق	٢٢٧٣
ثبت المصادر والمراجع	٢٢٧٦
فهرست موضوعات البحث	٢٢٩١